الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أحمد دراية أدرار

كلية الآداب واللغات

قسم : اللغة و الأدب العربي

أُسُسُ التَّعلِيميَّةِ عِندَ عُلمَاءِ المُسْلِمِينَ القُدَامَى
" كِتَابُ تَعْلِيمُ المُتَعَلِّمِ طَرِيقَ التَّعَلُّمِ لِلزَّرْنُوجِي أُنمُوذَجاً "

مذكرة تخرج مقدّمة لنيل شهادة الماستر في اللّغة والأدب العربي

تخصص : " تعليمية اللغة العربية "

إعداد الطالب :

- أبا حمو محمد

إشراف:

- الأستاذ الدكتور : الطّاهر مشري

السنة الجامعية : 1437-1438هـ / 2016-2017م

قال تــعالى: ﴿ **اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ اَلذِي خَلَقَ خَلَقَ الِانسَانِ مِنْ عَلَق**

اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الاَكْرَمُ الذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الِانسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

سورة العلق الآية 1-5

وقال تـعالى:﴿ **وَقُـل رَّبِّ زِدْنِـي** ﴾

سورة طه الآية 19

شكر وعرفان

بعد الشُّكر لله تعالى والثّناء على مَنّه وفضله، يسُرني ويسعدني أن أتقدم بالشُّكر والامتنان الجزيل والتقدير إلى من كان لي سنداً في إخراج هذا البحث الى النّور، وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور: الطَّاهِر مَشْرِي فجزاه الله عنِّي خير الجزاء وبارك له في العمر، كما أتوَّجه بالشّكر أيضا إلى كل أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها وإلى كل دارس وباحث في اللغة العربية وعلومها .

إهـــــداء

أهدي ثمرة جهدي إلى:

إلى الوالدين الكريمين بارك الله في عمرهما

إلى أخي وأخواتي

إلى جميع الأصدقاء والزّملاء والرّفاق

وإلى طُلاَّب العلم

محمد أباحمو

مُـــقدّمـــــة

إن أول خطاب دعـا به الله عزَّ وجل نبـيَّه محمـد صلى الله عليه وسلم قوله «إقـرأ»، فكانت دعـوةً صـريحةً إلى التعلم وطلب العلم والمعرفة، وبهذا التشريف الذي حازته الأمة العربية الاسلامية أهَّلهَا لأن تكـون خـير الأمم.

ومما لا شـكَّ فيه أن التّعلم أحد أهـم الأسـس التي تقـوم عليها الحياة، ذلك أن الإنسان خـلال حياته يحـاول التأقلم مع محيطه وحلّ المشكلات التي تُواجهه في مختلف الظـروف، وبهذا فهو لا يمكنه أن يتغلب على الصُّعوبات ومقتضياتها إلا بالتَّعلم، فبالعلم والمعرفة يحقق الإنسان ذاتيّته المتميزة عن سائر المخلوقات في هذا الكون، وأن أهم ما يميّز الأمم ويُعْظم قدر الشّعوب عن غيرها بالمستوى التّعليمي.

ومن هذا المنطلق حاولت أن أقف على جوهر هذه القضية التي لها صلة بموضوعـي والموسوم بـ:

" أُسُسُ التَّعليميَّة عند علماءِ المسلمين القُدَامى تعليمُ المتعلِّم طريقَ التَّعلُّمِ لبُرهَانِ الدّين الزَّرنُوجِي أُنمُوذجاً"، والذي ينتمي إلى حقل التعليمية ليجيب على السُّؤال الآتـي: فيـم تمثَّلت اسـهاماتُ علماء المسلمين القُـدامى في مجـال التَّعليميَّـــة؟

ولموضوع بحثي أهمية بالـغة تكمن في التَّعرف أكثر على ما قدّمه العلماء القُدامى في مجـال التعليم، ثم الـوقوف على أهم أسباب نجاح العملية التعليمية لديهم.

ومن هنا فقد كان الدّافع الذي جعلني أتبنى هذا الموضوع هو محاولة رصـد ما قيل وما أثر عن العلماء المسلمين القدامى حول الجانب التعليمي والاستـفادة بما جـادوا به في صنعة التعليم. ثم إن الموضوع له تأصيل متين مستمد من الكتاب والسُّنة

وقد ارتأيت أن أرسـم للبحث خطة على النّحو التالـي:

- مدخـل: سردت فيه عصر الزرنوجـي وأهـم الأحـداث التي كانت يومئذ، ثم بعد ذلك حاولت أن أعطي نبذة عن حياتـه وشخصيتـه.

– الفصل الأول: عرضت في بدايته مجموعة من المفاهيم المتعلقة بالموضوع، ثم ذكرت أهم المناهج والأماكن التعليم عند العلماء القدامى.

– الفصل الأخير: حاولت فيه التعريف بكتاب الزرنوجي واستنباط أهم الملامح التعليمية، وكما عمدت على إجراء موزانة بين آراء الزرنوجي والدراسات الحديثة.

وقد وظفت في هذا البحث المنهج التاريخي لتحديد عصر الزرنوجي ثم المنهج التحليلي الوصفي لوصف الظاهرة عند علماء المسلمين القدامى، أما المنهج المقارن فقد أفادني في مقابلة أراء الامام الزرنوجي بالدراسة الحديثة.

أما في ما يتعلق بالمادة العلمية فقد اعتمدت على جملة من المصادر والمراجع أهمها: كتاب التربية والتعليم في الاسلام لمحمد أسعد طلس، وكتاب الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية لمحي الدين القرشي.

وكان بحثي امتداد لدراسة سابقة وهي كتاب تعليم المتعلم طريق التعلم لمروان قباني الذي قدم فيه النظرة التربية والتعليم في الاسلام،كما حاول أن يوفق بينها وبين التربية الحديثة.

وكتاب التربية في الاسلام الأهواني الذي تناول رسالة القابسي بحيث صور فيها حالة التعليم في عصره من نواح عديدة.

ومن أهم الصّعوبات التي واجهتني نذكر منها: صعوبة انتقاء المادة العلمية من مظانّها المتعددة وشساعتها في جانب من هذا البحث.

وما بقي لي في الأخير إلا أن أنوّه بالشّكر الخاص إلى الأستاذ الدكتور "الطّاهر مشري" على نصائحه المقدَّمَة لي لإخراج هذا البحث بالشّكل الصّحيح.

يوم الأربعاء 05 أبريل 2017م

في الساعة: 12:40.

مدخل: السَّـيرةُ الـذَّاتـيَّةُ لِبُـرهَانِ الدّين الــزَّرنُوجِي

المبحث الأول: عَصْرُ بُرهَـانِ الـدّينِ الـزَّرنُوجِـي

المبحث الثّاني: تَرجمةٌ لحيَاةِ بُرهَانِ الدّينِ الزَّرنُوجِي

المبحث الأول: عصر برهان الدين الزرنوجي:

عند دراسة حياة عَلَم من الأعلام، لابُدَّ لي أن أقف في بداية حديثي على ذكر عصره الذي عاش فيه ومعرفة البيئة التي نشأ فيها، والتعرض إلى أهم الأحداث السّياسية التي من شأنها أن تؤثر في شخصية هذا العَلَم، ثم بعد ذلك الإحاطة بالظّروف الاجتماعية التي تعكس سلوكات مجتمعه، ثم في الأخير دراسة الحركة العلمية والفكرية القائمة في هذا المجتمع.

فبرهان الدين الزرنوجي عاش في القرن السّادس الهجري أي في العصر العباسي الأخير، الذي أشتهر بأحداث وصراعات كثيرة، من فتن وحروب وتكالب على السلطة، مما أدّى إلى حدوث تشوه وانقسام في جسد الأمة الاسلامية، وبالرغم من ذلك فإن هذا العصر قد برزت فيه العلوم في شتى مجالاتها.

وسنحاول من خلال ما ذكرنا أن نفصل تلك الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية والفكرية للتعرف أكثر عن عصر برهان الدين الزرنوجي:

01-الحالة السياسية:

يبدأ العصر العباسي من سنة 132هـ أي بعد سقوط دولة بني أمية بتسليم أبي العباس السفاح مقاليد الحكم، وقد استمر قروناً من الزمن إلى خلافة المتوكل التي كانت سنة 232 هـ، ويعرف هذا العصر عند مهتمي الأدب بالعصر الذهبي للخلافة العباسية الاسلامية، يعود الفضل فيها إلى أن الخلفاء كانت لهم السلطة العليا في البلاد، كما كانوا يحسنون التصرف في أمور الدولة وشؤونها، ثم تميزوا كذلك بالدّقة في الحكم من غير رهبة أو استكانة أو تبعية من قبل الخلفاء لغيرهم من الولاة والوزراء[1]، إضافة إلى عدم اعتمادهم على العنصر الأجنبي من الفرس

[1]- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي – العصر العباسي الأول –، دار المعارف، ط 16، 2004، ص09.

والترك، كما كان شأن من جاء بعدهم من الخلفاء فتعرضوا إلى نزاعات وصراعات أدى الى تعدد الخلفاء في مدة زمنية قصيرة.

وفي سنة 232هـ يتولى المتوكل أمور الخلافة إلى سنة 334هـ، الذي يكون فيه البويهيون في صدارة الحكم، وقد اختلف هذا العصر عن سابقه بسيطرة الأتراك على مقاليد الحكم وتمركزهم في الأماكن الحسّاسة في الدولة، إضافة إلى ذلك أن المعتصم اهتدى الى جلب عنصر جديد يعتمد عليه في حروبه سوى الفرس لانهم كانوا ذووا مطامح، فثورتهم لا تنقطع وأمانيهم في إحياء مجدهم لا تخمد[1]، وكما أنه عمد إلى شراء وجلب عنصر الرق من بلدان مختلفة مما إلى ارتفاع عددهم بسبب التزايد المستمر الذي كان يحدث يوما بعد يوم والذي نجم عنه إذاية للعامة، بحيث كانوا يجرون بخيلهم في الأسواق والشّوارع فتطأ الشيوخ والأطفال والنساء، فرأى المعتصم أن يعتزل بجنده في موضع نَاءٍ عن بغداد حتى يبعد أذاهم ولم يزل يتخير لهم موضعاً حتى انتهى بهم إلى سامراء شرقي دجلة بين بغداد وتكريت.... وأمر المعتصم أن تسمى "سُرَّ مَنْ رَأَى"[2] .

ومن هذا فإن التحول الذي أصبح يشكل خطراً على الدولة، لأنها كانت تعتمد بشكل كبير على العنصر الأجنبي من الفرس لأنهم أصحاب مدنيَّة وحضارة مما جعلهم يعدُّون لنهضة حضارية واسعة تستقى من الثّقافات الأخرى . ولمّا ولي المتوكل الحكم تنبَّه لهذا الأمر فحدّ من خطر ازدياد النُّفوذ التركي فعمل على التَّخلص منهم بالقتل لِيَلاَّ يتقلدوا أعلى المناصب في الدولة . وتوالت الخلفاء على عرش الدولة العباسية إلى أن وصلت إلى المستكفي بالله بن المكتفي، فتقرب منه البويهيون في بغداد وكان على رأسهم معزّ الدولة البويهي، فلقَّبه المستكفي بأمير الأمراء وأعطاه الطوق والسّوار وآلة السلطنة وعقد له لواء[3]، غير أن معز الدولة ما إن تمكَّن من الخلافة استغل ثقة المستكفي له فانقلب عليه وخلعه ونهب داره وسمل عينيه .

[1]- شوقي ضيف، تاريخ الادب العربي، -العصر العباسي الثاني-، دار المعارف، ط12، 2001 ، ص12.
[2]- المرجع السابق، ص18.
[3]- المرجع نفسه، ص16.

وبعد انتهاء هذا الحكم أتى حكم البويهيين لأنهم كانوا قد سيطروا على مقاليد الحكم بعد أن تخلصوا من الخليفة المستكفي وكانت بداية حكمهم سنة 334هـ وانتهت سنة 447هـ؛ عاث هؤلاء في الأرض فساداً بعد أن ثبّتوا ملكهم فخلعوا من خلعوا وقرّبوا إليهم من قرّبوا، كانت هذه المدّة أسوء حكم مرت بها الدولة العباسية.

أمّا عصر السلجوقيين فيعد العهد الأخير من حكم دولة بني العباس، وقد سميت بعصر الدولة السلجوقية، كانت بدايتها من سنة 447هـ وانتهت في السنة التي قام المغول بالاستيلاء على بغداد سنة 656هـ . وهذا العصر هو المقصود بالدراسة، لأن هذا الاخير عاش فيه برهان الدين الزرنوجي. فالسَّلاجقة قوم من الأتراك أمسكوا بالسلطة الحقيقية في بغداد دون الخلفاء الذين لم يكن بأيديهم غير السلطة الدينية[1] .

عند اعتناق السلاجقة مذهب أهل السُّنة اهتدوا إلى ضبط أمور الدّولة ووحّدوا بين أصقاعها، إضافة إلى أنهم جمعوا الشتات وحاربوا أعدائهم من الفرقة الشيعية التي تتزعمها الدولة الفاطمية التي أرادت الزحف على بلاد الشام، كما تمكنت من فتح الرَّملة والقدس وفتح دمشق رغم المحاولات المتكررة التي باء فيها المسلمون بالفشل الى أن تم لهم النّصر بإذن الله وضمت الى الخلافة في بغداد[2] . كما جرت أحداث هامّة في هذا العصر منها انقسام الخلافة الاسلامية إلى إمارات متنازعة وسقوط الدولة الفاطمية وقيام دولة جديدة سميت بالدولة الأيوبية بقيادة صلاح الدين الأيوبي وَحَّد هذا الأخير صفوف المسلمين ووقف ضدّ الصليبيين في معركة حطين[3]. وأما المصيبة الأعظم ألا وهي زحف جيش التّتار بقيادة جنكيزخان وكان ذلك في بداية القرن السابع الهجري.

[1]- أيوب دخل الله، التربية الاسلامية عند الامام الغزالي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا – بيروت، ط1، 1417-1996، ص28 .

[2]- ينظر عصر الدول والامارات، الشام، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط2، ص24-25.

[3]-المصدر نفسه، ص29-30.

لم يكن اسقاط الخلافة العباسية أول ما فعله التتار بل عمد إلى اسقاط كل إمارة من الإمارات التابعة إلى الاسلام، ومن بين هذه الإمارات إمارة محمد بن خوارزم شاد؛ قام جنكيزخان بمطاردته ثم اجتاح تبريز وغيرها إلى أن وصل بغداد .

دخل التتار بغداد فظلَّ يتعقب المسلمين في أي مكان ليقتلهم، ولم يقتصر على الرجال القادرين على حمل السّلاح بل كان يقتل الكهول والأطفال بل وحتى الرضَّع لم يسلموا من بطشه؛ ثم ذهب بعد ذلك إلى انتهاك منابع العلم "مكتبة بغداد" التي تعد من أعظم دور العلم في الأرض دامت قرابة خمس قرون متتالية، أسسها الخليفة العباسي المسلم هارون الرشيد رحمه الله تعالى، ثم ازدهرت في عهد المأمون فكان هذا الأخير يشترط على ملك الروم بأن يسمح للمترجمين المسلمين بترجمة الكتب التي كانت في القسطنطنية، كما كان خلفاء بني العباس يجوبون الأرض بحثاً عن الكتب ليترجموها لتوضع في مكتبة بغداد، كل هذه المجهودات ألقى بها التتار في مياه دجلة حتى أن الفارس التّتري كان يعبر فوق المجلّدات الضَّخمة من ضفَّة إلى ضفَّة[1] . وبعد أن فرغ من المكتبة توجه إلى الديار الجميلة والمباني الأنيقة فدمّرها وخرّبها وسلب منها كل ما تحويه من غال ونفيس وما عجزوا عن حمله أحرقوه، فتحولت بغداد مدينة الحضارة والعلم إلى مدينة ديارها ركام وإلى خراب منه تتصاعد ألسنة النار والدخان. وأصبحت كما يصفها أحدُ العلماء قائلا: « وافَيتها بلدةً خاليةً، وأمّة باليةً، ودمنة حائلةً، ومحنة جاليةً، وقصوراً خاليةً، وعراصاً باكيةً، وقد رحل عنها سكانها، وبات عنها قطّانها، وتمزقوا في البلاد، ونزلوا بكل واد، وقصورها المشيّدة مهدومة ونعماؤها مسلوبة...»[2] .

02-الحالة الاجتماعية:

[1]- راغب السرجاني، سلسلة كيف نبني أمة؟ قصة التتار من البداية....الى عين جالوت، ص110.

[2]- المرجع نفسه، ص 199.

بعدما انتهينا من الحديث عن عصر عَلَمِنَا من النّاحية السياسية توجَّب علينا أن نعرف عنه من النّاحية الاجتماعية التي كانت سائدة في عصره لأن بيئة الفرد تنعكس عليه كونه جزءاً منها.

ففي كل عصر نجده متميز عن غيره ويكتسي بصبغة خاصَّة به، وكما عرفنا من قبل أن العنصر العباسي العربي قد اختلط بغيره من الأجناس الأجنبية كالفرس والترك وهذا يغيّر حياة المجتمع العباسي السّابقة التي كانت بدوية، أضف إلى ذلك تنوّع الخلفاء في فترة زمنية قصيرة، كما أن ضعف الخلفاء وسيطرة الأمراء لها أثر كبير في الجانب الاجتماعي، فكل من هذا وغيرها ساعد في تعدد الظَّواهر الاجتماعية، وسأركز في هذا الجانب على نظام الطبقية، ويتمثل فيما يلي:

طبقات المجتمع:

إن أي مجتمع يلجأ إلى الطّبقية، وهذا ما يلاحظ في العصر السَّلجوقي هو أيضاً قسّم مجتمعه الى جملة من التقسيمات الطبقية، وهي تختلف من طبقة إلى أخرى في جميع جوانب الحياة ونذكر منها:

ا–الطبقة الخاصة:

وتضم هذه الطبقة الخلفاء وذوي قرابتهم ويليها مباشرة رجال الدّولة من وزراء وحُجَّاب ووُجَهَاء وقُضاة، وكل هؤلاء يهتمون بتسيير شؤون الدولة، ثم بعدهم علماء الدين والأدباء والكُتاب والشعراء .

ب–الطبقة العامة:

ونستطيع أن نسميها بطبقة العمَّال أو العاملة وتشمل هذه الأخيرة أهل الحِرَف والصُّنَّاع وأهل التجارة والفلاَّحين والجُند، وتكون مزيجاً الأجناس والعروق كالفرس والترك والعرب والأرمن، وبما أنها تخضع لقائد أو خليفة عربي وتنتمي للأمة الإسلامية بوجود العرب في المجتمع وسيادة اللغة العربية فيه لأنها لغة الدين الحنيف ولغة الدولة

ولغة التَّخاطب في المجتمع، أصبحوا يُسَمُّون بالعرب وهم على خلاف ما يسمون به، فانكبوا على تعلم اللغة العربية وإجادتها[1] .

ج-الرقـــيق:

كثر الرقيق في هذا العصر بشكل مفرط لتزايد الأسرى في الحروب، فانتشر سوق النخَّاسين الذين كانوا يبيعونهم في الأسواق حتى جاوز الحدّ، فخُصص لهم شارع يعرف بشارع الرقيق . وكان الرقيق يُجلب من بلاد الزّنج وإفريقيا الشّرقية ومن الهند وأواسط آسيا، فغلب رقيق النّساء من الجواري على رقيق الرّجال إلى أن امتلأت بهن الدّور والقصور، ثم «كان نسلهن أكثر من نسل العربيات؛ لقلة عدد العربيات إذا نسب لغير العربيات بل كان ولوع الناس بالاختلاط بغير العرب أقوى وأشد، وميلهم إلى الإماء أكثر إلى الحرائر »[2]، لأنهن كُنَّ ذا رِقّة وجمال وبيض البشرة وعذوبة الحديث، بالإضافة إلى التّمازج بين الأجناس والأعراق.

2-الحالة الثقافية:

إن الأحوال الثقافية والعلمية تزدهر بالظروف والعوامل المحيطة، ففي القرن السادس الهجري والقرنين الماضيين كانت أعلى شأنا في العلم من القرون التي سبقتها، فلم يشهد التاريخ في هذه الفترة حركة ثقافية مثيلاً لها، فالأمة العربية أنعم الله عليها بالإسلام الذي جعل منها أمّة فكريةً علميّة، فكان عطاؤها مذهلاً تمثّل في التراث الضَّخم الذي تركه الأولون من مؤلفات وكتب ومصنّفات وموسوعات زخرت بها المكتبات الاسلامية تحكي عن زمن قدس أهله العلم.

وقد اتسع الفكر الاسلامي في عهد السّلاجقة ونضجت مَلَكة البحث والتأليف عند المسلمين نتيجة حركة الترجمة النَّشطة إبّان الدولة العباسية إضافة إلى تنقل العلماء والأدباء في البلاد العباسية شرقاً وغرباً بهدف الاتصال

[1]- ينظر المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي، دار المعارف العثمانية، حيدر اباد، ص 228.
[2]-أحمد أمين، ضحى الاسلام ج1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، جمهورية مصر العربية، القاهرة، ص23.

بحكّام الدولة التي استقلت عن الخلافة العباسية مما أدّى زخور بلاط السّلاطين وغيرهم من حكّام الدولة بالعلماء والأدباء والشعراء، حيث ترافق ذلك من نشاط الحركة الفكرية الثقافية والتي امتدت على طول البلاد وعرضها المتلاحقة[1]، وتمثّل ذلك في الكم الهائل الذي تركه الأوّلون من مؤلفات وكتب ومصنفات خطوا بها خطوات لم يسبق لحضارة من قبل.

كان المسلمون في ذلك الوقت يمتازون بالعلم، فتوسعت الحِلَق والمجالس العلمية وأماكن صناعة الورق في معظم أصقاع الدولة الاسلامية الأمر الذي دفع حركة التأليف والتَّصنيف والتَّدوين دفعة قوية نتج عنها نشوء صناعة جديدة هي صناعة "الوِرَاقة" وهي «صناعة كان يقوم أصحابها بنسخ الكتب وتصحيحها وتجليدها ونحو ذلك مما يتعلق بالكتب»[2].

ومن دون أدنى شك أن الدولة الاسلامية في هذا العصر يسَّرت أموراً كثيرةً لتطور الحركة العلمية، فما فتىء ذلك إلى أن اعتكف الناس على الكتب فصنَّفوها وجمعوا ما تفرّق منها، حتى أنهم عملوا على تأصيلها وتفريعها ليكون لها ذاتية. فكان الناس يأخذون العلم على المشايخ في المساجد ولم تكن هذه الأخيرة حصراً للعبادات وإنما كانت أماكن القضاء والفقه وعلوم العربية ورواية الشعر. وكان للمكتبات دوراً بارزاً في ازدهار الحضارة، فتهافت عليها أصناف المجتمع من خلفاء وولّاة وعلماء في شراء الكتب واستنساخها، وكانت "دار الحكمة" أول مكتبة عامة أنشأها المأمون في بغداد وجمع لها الكتب من اليونانية والبيزنطية التي ترجمت إلى العربية، وظلت المكتبة قائمة إلى مجيء التتار[3].

[1]- أيوب دخل الله، التربية في الاسلام عند الامام الغزالي، ص 42.
[2]- أحمد أمين، ضحى الاسلام ج2، مكتبة النهضة المصرية، ط17، ص24.
[3]- نفسه، ص65،66.

وعلى ما سبق فقد أدرك السَّلاجقة بأن العلم هو حصن الدولة وسَنَدَها وأن العُلاّم هم أسرجة الحضارة ورُوَّاد الأمّة، كما أنهم تيقَّنوا بأن خير ما يضمن أمن دولتهم ورقيَّها أن يشُدُّوا بأيدي العلماء ورجال الدين للنيل من أعداء الإسلام وكبح مطامحهم.

03–الحالة الدينية والفكرية:

مما لارَيب فيه أنه عندما تنموا الحركة العلمية والثقافية تتعارض الأفكار وتختلف، فينجم عن هذا ظهور مذاهب وفِرَق، وهذه الفِرَق لا تبدوا غريبة عنّا لأن الرسول الكريم أخبرنا بأن الأمة الإسلامية ستتفرق إلى ثلاث وسبعين فرقة؛ وسأحاول في هذا العنصر أن أعرض أهمّ الفِرَق التي كانت موجودة في هذا العصر:

ا– الباطنية:

كانت قائمة في بادئ الأمر على السّرية التّامة بزعامة "الحسن بن الصبَّاح"، وما أن بزغ فجر السَّلاجقة حتى انتشرت في بلاد الاسلام كالنَّار في الهشيم فأحدث ذلك اضطرابات سياسية واجتماعية مسَّت الجانب الديني فجَرّ ذلك إلى انحراف عن الدين الاسلامي.

ويشير عبد النعيم حسنين إلى القوى الدينية والطائفية المتصارعة أيام الدّولة السلجوقية فيقول: «كانت هناك معسكرات سياسية ذات صبغة دينية أهمها المعسكر السُّني وكان يمثله العبّاسيون في بغداد والمعسكر الشيعي ممثلاً في الفاطميين في مصر وأجزاء من شمال إفريقية والشام والإسماعلية في إيران ثم المعسكر المسيحي وكان يمثله الصليبيون في بعض أجزاء آسية الصُّغرى والشَّام وفلسطين من حدود العالم الاسلامي في ذلك العصر»[1].

إن المتتبع لأحداث هذه الفترة يدرك يقيناً خطر الباطنية على دولة الاسلام لأنها كانت فرقة إرهابية مهمتها اغتيال خصوم الدولة من حكَّام الأقاليم والدُّول ووزرائهم ومن العلماء والفقهاء المناوئين لها، وكان من بين الوزراء

[1]– عبد النعيم حسنين، سلاجقة إيران والعراق، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط2، 1380–1970، ص176

الذين اغتالوهم الوزير نظام الملك[1]، إضافة إلى الخطر الأشد وهو الأفكار التي يدعون إليها فهم يعتقدون أن الدين له ظاهر يعلمه عامّة النَّاس وله باطن لا يعلمه إلا هم فهؤلاء يقولون ما يشاؤون من آراء غريبة فيزعمون أنها من علم الباطن.

ولما اتّضحت مطامع هؤلاء، لجأت الدولة السلجوقية إلى محاربتهم محاربةً عنيفةً لا رحمة فيها ولا شفقة خاصة في أيام ملكشاه ووزيره نظام الملك والسّلطان برقياق، فرغم المناوشات العديدة بينهم إلا أنهم لم يستطيعوا القضاء عليهم بسبب انتشارهم في أصقاع الدولة الاسلامية.

ب- المعتزلة:

وهي فرقة كلامية نصّبت نفسها للدفاع عن بيضة الإسلام، وقد سنت لنفسها بنوداً لكل من يريد أن يدخل في حلفها ومنها: توحيد الله وتنزيهه عن التشبيه، وحقائق النبوة والثواب والعقاب....، امتازت هذه الفرقة بالإقناع وإقحام الخصوم مما جعلهم يجذبون الناس بحسن بيانهم، فلم يبقى لهم حديث غير الاعتزال والمعتزلة حتى وصلت إلى قصور الخلفاء[2].

وقد تطور مذهب المعتزلة في العصر العبَّاسي حتى أنها اتخذت شكلاً جديداً، حيث كانوا يعتكفون على كتب الثقافات الأجنبية يتزوّدون منها وخاصة الفلسفة اليونانية "فلسفة أرسطو"، فأجمعوا أمرهم على نفي الصّفات الالهية وقرروا على أن كل فاجعة ومصيبة تواجه الإنسان ويتخلص منها إنما مردّها إلى سلطان العقل. كما لهذه الطائفة وجه الشبه بينها وبين معتزلة اليهود فهذه الأخيرة كان تفسر التوراة على حسب منطق الفلاسفة وأما معتزلة فكانوا يتتبعون القرآن لعلهم يجدوا فيه أوصافاً تقابل منطق الفلاسفة أيضاً واستمر المعتزلة بفرض وجودهم

[1]- ابن الاثير، الكامل في التاريخ ج9، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407-1987، ص40.
[2]- ينظر شوقي ضيف، تاريخ العصر العباسي الاول، ص134.

في المساجد وأماكن العلم لنشر دعوتهم بالمناظرات والمناقشات حتى ظهر لهم «أبو الحسن الأشعري بمذهبه المعروف مذهب أهل السنة قائم على الأدلة من القرآن والسنة وسطي بين مذهب المعتزلة والمحدثين»[1].

ج-الصوفية:

لقـــد كان لهذه حظّا وافراً أكثر من غيرها، فسادت في العراق والشام إلى أن وصلت كل ربوع العالم الاسلامي فاعتنقها عامّة الناس لأنهم كانوا يحترمون الزّهاد وينظرون إليهم نظرة إجلال وإكبار، وكما تأثر بهم الحكام الذين لم يترددوا في بذل ما عندهم والتقرب منهم مما جعل أفراد المجتمع يرون الصوفية فئة متميزة ومختلفة عنهم فحققوا بذلك مكانة عَلِيَّة.

وفي العصر السلجوقي بالتَّحديد نجد أن الصُّوفية قد مزجت بينهم فئة تطمح من وراء ذلك إلى تحقيق أهداف، كان لهم ضعف في الوازع الديني، كما أن جماعات منهم تسقط بعض الفرائض فأشعل بينهم وبين الفقهاء صراعات، فاهتدى بعضهم إلى اعلان« أنه لابد من الوصل بين التّصوف والشرع فلا تصوُّف بدون أداء الفرائض والنوافل ولا صلاة بدون عمل القلب والاخلاص وصدق السريرة»[2]. ثم أشعلت هذه الوقيعة نار الحمية في نفوس علماء الصوفية كان نتاجها تأليف الكتب للرد على هؤلاء، ومن بينهم "كتاب إحياء علوم الدين للامام ابي حامد الغزالي"[3] وضع فيه معنى الصوفية.لقي هذا الكتاب إقبالا كبيراً في مناطق عديدة من بلاد الاسلام، كما عمد السلاجقة الى بناء الخانقاهات (وهو مكان انقطاع العبادة للمتصوفة).

[1]-شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، ص198.
[2]- شوقي ضيف، عصر الدول والامارات الشام، ص56.
[3]- المصدر نفسه ،ص66.

وفي ظل هذا الإقبال المستمر على الصّوفية والعمل على إعطائها الشكل الحقيقي انبثقت منها طريقتين سنيتين هما: الطريقة القادرية لمؤسسها الشيخ عبد القادر الجيلالي ت561 هـ، والطريقة الرفاعية لمؤسسها الشيخ أحمد الرفاعي ت576هـ[1]، وانتشرت هاتين الأخيرتين انتشاراً واسعاً في كثير من بلدان العالم العربي.

نلاحظ مما سبق وجود مستلزمات في الدولة العربية الاسلامية أدت إلى ظهور فِرق فكرية تزعم انها الوحيدة والقادرة على حمل راية الاسلام دون غيرها، إلا أن الصّوفية كانوا أقرب بكثير إلى تعاليم الدين وتمثل ذلك في سلوكاتهم ومعاملاتهم مع الناس وإبعاد كل اعوجاج في المسلك وسوء المعتقد.

المبحث الثاني: ترجمة لبرهان الدين الزرنوجي:

برهان الدين الزرنوجي علاَّمة فقيه، حظي بشرف التأليف مثله كباقي العلماء والمفكرين في العالم الإسلامي، رغم قلة التراجم التي حكته عنه إلا أنه يعد جوهرة من جواهر هذه الأمة، وشمعة تنير الطّريق للأجيال اللاحقة، ألفّ كتابه المسمى"بتعليم المتعلم طريق التعلم" والذي يعد أنفس الكتب التي تركها الزّرنوجي فأكسبه شهرة واسعة.

1–مولده ونسبه: إن الكلام عن ميلاد الزرنوجي صعب للغاية وعمل شاق بعيد المرام لأن كتب الطَّبقات والتَّراجم لم تذكر ولادته، مما أدَّى بالباحثين إلى اللّجوء لاستنتاج الأفكار التي يأخذونها من المراجع المتوفرة لديهم والتي لا تعطيهم سوى فكرة متقضبة عن هذه الشخصية العظيمة، بحيث لا تسمح بالإحاطة أو المعرفة الكلية لها. كما أن الغريب في هذا كله أن جلّ المترجمين لصاحب كتاب"تعليم المتعلم طريق التعلم" لم يتجاوزوا في قولهم على أنه: «برهان الاسلام أو برهان الدين وهو اللّقب الذي اشتهر به وتلك عادة العلماء والمشاهير في تلك العصور التلقّب بهذه الألقاب الدينية التي يرجى منها إظهار صاحبها بمظهر المتدين والمؤثر بالدين»[2].

---

[1]– نفسه، ص58.

[2]– برهان الدين الزرنوجي، تعليم المتعلم طريق التعلم، تحقيق: مروان قباني، المكتبة الاسلامية، بيروت، ط1401،1-1971 ص17 .

وبعدما انتهينا من الكلام عن ميلاد واسم الزرنوجي نشرع الآن في الكلام عن نسبه "رحمه الله تعالى" ينتسب الامام الزرنوجي إلى بلدته "زرنوج"فهي « بالفتح والسُّكون بلد ما وراء النَّهرين بعد خنجد . الحنيفي من تلاميذ برهان الدين المرغيناني صاحب الهداية الذي توفي في حدود سنة 610 هـ، وقد صنَّف "تعليم المتعلم طريق التعلم»[1].ويؤكد هذا القول صاحب معجم البلدان عندما تحدَّث عن بلدة "زرنُوج" قائلاً: " هي بلد مشهور ما وراء النهر بعد خوجند من اعمال تركستان" وهذا يعني أنها تنعم بمناخ معتدل وتربة خصبة تنتج خيراً كثيراً .

2-وفاته:

أما إذا أردنا أن نتحدث عن وفاته فإننا سنقع في نفس المشكلة التي سبق وأن ذكرناها عندما تحدثنا عن ميلاده، وهي أنني لم أجد تحديداً دقيقاً يمكن من خلاله معرفة السَّنة التي توفي فيها الزرنوجي، وإن وجدت فإنها تكون تقريبيـة فقط، فهو «كان حيّاً قبل سنة 593 هـ»[2]، وذكر بعضهم أنه توفي عام 640 هـ في بخارى[3].

3-شخصيته:

من خلال كتاب "تعليم المتعلم" نلمح شخصية الامام الزرنوجي على أنه رجل دين متشبع بالثّقافة الاسلامية، ويظهر ذلك أثناء عرضه لأي معلومة فإنه كثيراً ما يقابلها بآية قرآنية أو حديث شريف أو كلام أئمة المسلمين، كما أنه متأثر تأثراً شديداً باللغة العربية لأن لغة الدين والشرائع الاسلامية، لديه بلاغة في التّعبير تناسب مقتضى الحال ومُجيداً للغة العربية ومحبّاً لها، إضافة إلى أنه كان ذا صلة بالشِّعر فقد أورد العديد من الأبيات الشعرية للاستدلال والاستشهاد.

---

[1]- البغدادي اسماعيل باشا، هداية العارفين في اسماء العارفين وآثار المصنفين، مجلد الاول، دار احياء التراث العربي، بيروت-لبنان ص13-14.

[2]- عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية ج1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط1، 1414-1993،ص425.

[3]- محي الدين القرشي، الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية ج2، مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، ط1، ص201.

ويظهر لنا أيضاً في شخصية الزرنوجي أنه رجل فقيه ينتمي إلى المذهب الحنفي متعصّب لمذهبه وتبعيته له، فأغلب الأقوال المستشهد بها كانت لفقهاء الأحناف، كما يظهر لنا أنه متأثر بالإمام أبي حنيفة في كل شيء فمن ذلك أنه أوجب تقطيع الورق على ما كان يفعله أبـو حنيفة[1].

4-شيوخه:

مما لا يختلف فيه اثنان أن كل من يلتحق بالمدارس للتّعلم لابدّ له من مُعلِّم، وبرهان الدين الزرنوجي العالم الفقيه قد أخذ العلم على شيوخ عصره؛ وسأسرد مجموعة من أبحر العلم الذين غَرف منها إمامُنا، وهم:

01-برهان الدين علي بن أبي بكر المرغيناني ت593هـ، وهو من كبار فقهاء الأحناف في عصره .

02-ركن الاسلام محمد بن أبي بكر المعروف بخواهرزاده ت573هـ، مفتي أهل بخارى، وهو فقيه وأديب وشاعر.

03-حماد بن ابراهيم ت576هـ، فقيه وأديب ومتكلم.

04-فخر الدين قاضي خان الاوزجندي ت592هـ، له العديد من المؤلفات الفقيهية.[2]

05-الامام الفـــــــرغـاني[3].

5-مؤلفاته:

هذا العالِم الجليل لم يعرف له مؤلفات إلا كتاب واحد، يشهد له بذلك مجموعة أهل التراجم والباحثين والمهتمين شغف أهل العلم بهذا الكتاب لأهميته وثرائه المعرفي، بغض النظر عن صعوبة إعطاء صورةً تامّةً عن شخصية صاحبه، فهذا هو المصنف الوحيد الذي عرف عند أصحاب التّراجم والسير، وقد يذهب البعض إلى أن

[1]- الزرنوجي، تعليم المتعلم، ص20.

[2]- نفسه، ص 22.

[3]- عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ص425.

الزرنوجي قد ألَّف كُتُباً عديدة غير أنها تعرضت إلى الضّياع والزّوال بسبب الإهمال أو لأنها لم تجد عنايةً تامّة تليق بها، ويرى البعض الآخر أنها نهبت كباقي الكتب عندما هجم التتار على مدينة بغداد.

ونستنج مما تقدم ذكره أن الامام الزرنوجي عالمٌ فقيهٌ حنفيٌّ، ينتسب لبلدة زرنج الواقعة في تركيا، لم يعرف إلا باسم برهان الدين الزرنوجي دون ذكر أبيه، كان شخصيةً فريدةً فذة نهلت من العلوم الاسلامية والثَّقافة العربية حتى أصبح علَماً من عُلاّم عصره، فألَّف كتباً كثيرة إلا أنّ الضياع كان مآلها وما بقي منها إلا كتاب "تعليم المتعلم طريق التعلم"، فنال به شهرةً بلغت به آفاق العالم الاسلامي بل وإلى بلاد العجم فترجم إلى لغات عدة؛ هذا إن دلَّ على شيء وإنَّما يدل على أن الزرنوجي لم يكن إنساناً عادياً، ولـو لم تدفن آثاره في رمال الإهمال لرأينا منه مؤلفات أخرى لا تقل جودة عن كتابه تعليم المتعلم؛ ولكن أبت الأقدار أن يكون كذلك.

الفصل الأول: مظاهر التّعليميَّة عند المسلِمين القُدامى

المبحث الأول: تحديدُ مُصطَلَحاتٍ وَمفَاهِيم

المبحث الثَّـاني: مَكـانةُ التعليمِ فِي الاسـلام

المبحث الثَّالث: التَّعليمِ عند المسلِمين (مَناهجُه وأَمكِنَتُه)

المبحث الأول: تحديد مصطلحات ومفاهيم:

قبل الـولوج إلى موضوعنا حُقّ لنا في البداية أن نحدد المفاهيم الأساسية لبعض المصطلحات التي كثيرا ما ستصادفنا في ثـنايا هذا البحث لعلني بـذلك أرفع اللبس والغموض عنها، حتى يتم استيعاب المـعلومة بشكل واضـح ومــفهوم.

01- مفهوم التربية لغة واصطلاحا:

تعريف التربية لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور أن كلمة التّربية تعني:«ربّ يربّ. بتشديد الياء على وزن شد يشد أيضاً، أي أصلح الشيء وقام عليه ورعاه وتولى أمره»[1]. فالله عز وجل هو رب العالمين المدبّر والمصلح والقائم على عباده. والوالد يربي ابنه تربية فهو يرعاه وقائم عليه.

المعنى الاصطلاحي: تعددت تعاريف مصطلح التربية عند العلماء قديماً وحديثاً؛ وكانت جميعها متقاربة في المعنى وهو تبليغ الشيء إلى أن يصل كماله.

يقول الامام البيضاوي في تفسيره" أنوار التنزيل وأسرار التأويل": « الرب في الأصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً ثم وصف به تعالى للمبالغة»[2] .

[1]-ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، مجلد1، دار صادر، بيروت، ط1، ص399.

[2]- ناصر الدين ابي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي انوار التنزيل واسرار التأويل ج 1، مكتبة الجمهورية المصرية، القاهرة، ص 03.

وجاء في تعريف الراغب الأصفهاني في كتابه "مفردات القرآن "بأنّ التربية هي: « أنشأ الشيء حالاً فحالاً إلى حدّ التمام»[1].

ثم إن لبعض المحدثين تعريف يتعدى تعريف القدامى حيث قال: بأن التربية «تنمية الوظائف النفسية بالتمرين حتى تبلغ كمالها شيئاً فشيئاً، تقول ربيت الولد، إذا قويت ملكته ونمت قدراته إذا احكَمَته التجارب ونشأ نفسه بنفسه، ومن شروط التربية الصحيحة أن تنمي شخصية الطفل من النّاحية الجسمية والعقلية والخلقية حتى يصبح قادراً على مؤالفة الطبيعة يجاوز ذاته ويعمل على إسعاد نفسه وإسعاد الناس، وتعد التربية ظاهرة اجتماعية تخضع لما تخضع له الظواهر الأخرى في نموّها وتطوّرها»[2].

ويقول محمد عبد الله دراز مدعماً للتعريف السّابق بأن: «التربية هي تعهد الشّيء ورعايته بالزيادة والتنمية والتقوية والأخذ به في طريق النضج والكمال الذي تؤهله له طبيعته، والتربية الانسانية الكاملة هي التي تتناول قوى الانسان وملكاته جميعها»[3]

نستنتج من خلال التعريفات السابقة أن التربية هي إقامة الشيء ورعايته، وبذلك فهي عملية عامّة متدرجة تهدف إلى رعاية الانسان حتى يبلغ درجة النضج والكمال، قادراً على مجابهة الحياة بنفسه بما وهبه الله من مواهب واستعدادت فطرية كامنة.

2.مفهوم التعلم:

[1]- اصول في التربية، مركز نبراس،المملكة العربية السعودية،جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، عمادة التعليم عن بعد، المستوى الخامس، نظام الانتساب المطور،1431-1432، ص04 .

[2]- أيوب دخل الله، التربية الاسلامية عند الامام الغزالي، ص134.

[3]- المرجع السابق، ص05.

التّعلم لغة: «مأخوذ من علم يعلم علما ورجل علاّمة، وعلّام ، وعليم فإن أنكروا العليم فان الله يحكي عن يوسف ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[1] وأدخلت الهاء في علاّمة للتوكيد.

وما علمت بخبرك أي: ما شعرت به، وأعلمته بكذا أي: أشعرته وعلّمته تعليما والله العا لم العليم العلاّم، والأعلم: الذي انشقت شفته العليا، وقوم علم وقد علّم علما.

قال عنترة: تَمْـــكُوا فَرِيصُـــتُه كَـــشِدْقِ الأَعْـــــلْمِ

والعلم: الجبل الطويل والجميع الأعلام... ومنه قوله تعالى﴿وَلَهُ الجَوَارِي الـمُـنشَآتُ فِي البَحْرِ كَالاَعْلاَمِ﴾[2]. شبه السفن البحرية بالجبال .

والعلم: الراية ...والعلم علم الثوب ورقمه. والعلامة والمعلم والعلم: ما جعلته عَلَماً للشيء[3].

وجاء في لسان العرب في مادة" ع ل م": «.... علم علما وعلم هو نفسه، ورجل عا لم وعليم من قوم علماء.. وجمع عا لم علماء، ويُقال عُلاّم أيضاً؛ قال يزيد بن الحكم:

وَمُسْتَرَقُ القَصَائِدِ وَالـمُصَاهِي سَوَاءُ عِندَ عُـــلاّمِ الرِّجَـالِ

وعلاّم وعلاّمة إذا بالغت في وصفه بالعلم أي عا لم جدّا، والهاء للمبالغة.... وعلّمه العلم واعلمه إياه فتعلمه، وفرق سيبويه بينهما فقال علِمت كأذِنت، وعلمت كأذنت. وعلّمته الشيء فتعلّم. وليس التشديد هنا للتكثير.وكما قال تعالى: ﴿مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ﴾[4] أي له من يعلمه.

---

[1]- سورة يوسف الآية55.

[2]-سورة الرحمن، الاية24.

[3]-الفراهدي الخليل بن أحمد، كتاب العين المجلد3، تح، عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية،بيروت – لبنان، ط1، 1424-2003، ص221،222.

[4]-سورة الدخان، الاية 14.

ويقال: تعلم في موضع إعلم»[1].

ونستخلص من خلال ما سبق ان لفظة عَلَم لها معاني عديدة تختلف كل واحدة عن سابقتها، بحسب المعنى والسياق الذي وضعت له، ومنه فالتعلم هو عملية تلقين المعلومة من المعلم الى المتعلم.

اصطلاحا:

مما لا يختلف فيه اثنان هو أن الانسان منذ أن ظهر إلى الوجود ما برح أن يشكل مجموعة من العلاقات تربطه بالوسط الذي يعيش فيه، وذلك باستخدام رموز دلالية، تحقق له التفاعل معه باكتساب المهارات والخبرات التي تغير سلوكه بشكل دائم؛ وقد أشار علماء النفس وخاصة التربويون منهم رأوا انّ التعلم: «تغير في السلوك عن طريق الخبرة والمران، له صفة الاستمرارية وصفة بذل الجهد المتكرر حتى يصل الفرد إلى استجابة ترضي دوافعه وتحقق غاياته»[2].

وكما يكون التعلم تحول للسلوكات التي تتأثر بالمواقف، عن طريق الاستجابات الناجحة؛ ويؤكد هذا القول بعضهم بقوله: التعلم هو التغير المطّرد في السلوك الذي يرتبط بالمواقف المتغيرة التي يوجه فيها الفرد، وبمحاولاته المستمرة للاستجابة لها بالنجاح[3].

يقول غاتس: «يمكن تعريف التعلم بأنه تعلم السلوك تغيراً تقدميّاً يتصف من جهة بتمثل مستمر للوضع، ويتصف من جهة أخرى بجهود مكررة يبذلها الفرد للاستجابة لهذا الوضع استجابة مثمرة، ومن الممكن تعريف التعلم تعريفاً آخر بأنه إحراز طريق ترضي الدوافع وتحقق الغايات، وكثيراً ما يتخذ التعلم شكلاً لحلّ المشكلات،

---

[1]- ابن منظور ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، مجلد9، اعتنى به د. خالد رشيد القاضي، دار الابحاث، الجزائر ط1، 2008، ص362. 363.

[2]- سامي محمد ملحم، سيكولوجية التعلم والتعليم الاسس النظرية والتطبيقية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1، -1422- 2001 ص48.

[3]- حامد عبده الهوال، التعليم والتعلم في القرآن الكريم، مكتبة الفلاح، الكويت، ط1، 1981- 1401، ص15.

وإنما يحدث التعلم حين تكون طرائق العمل القديمة غير صالحة للتَّغلب على المصاعب الجديدة، ومواجهة الظروف الطارئة»[1].

ونستخلص من خلال ما سبق أن التعلم أحد القدرات الأساسية للانسان تتطور عنده عن طريق النشاطات والخبرات التي تمكنه من تحرير نفسه من الجهل وتعديل سلوكه في مجتمعه، فأينما يوجد الانسان يوجد شكل أو آخر للتعليم تحدده طبيعة المجتمع الذي يعيش فيه ومستوى تطوره الإقتصادي والعلاقات الاجتماعية السائدة فيه.

3.مفهوم التعليم:

يعد التعليم من الكلمات القليلة التي تحمل معاني كثيرة؛ بحيث يصعب وضع معنى واحد وتحديده، فله جوانب كثيرة ومتنوعــة؛ لكونه حظي باهتمام كبير منذ القديم مما أدى إلى ظهور اختلافات عديدة في موضوعاته واتجاهاته. وسأحاول أن أسرد بعض التعريفات لجملة من العلماء الذين اهتموا بهذا المجال؛ وهي كالتالي:

تتفق قواميس اللغة على أن تعريف التعليم هو«مصدر للفعل علم، ....وعلمه الشيء تعليما فتعلم»[2]. إذاً؛ فالتعليم حسب ما عرفه أحدُ الباحثين: «هو مجموعة من الإجراءات والأنشطة التي تعتمد من طرف المعلم لنقل معارف أو مهارات للمتعلم قصد الحصول على تغير متوقّع في سلوكه، وتتدخل فيه مجموعة كبيرة من العوامل»[3].

وليس ببعيد أن يكون التعليم معرفة تنتقل من جيلِ إلى جيلِ آخر من بعده ليحفظ الأجيال ما وُرِّث إليهم ويزيدوا عليه مستوى الرقي والتقدم، وهذا ما نلمسه في تعريف جون ستوارت إذ يقول: «التَّعليم هو الثَّقافة التي

---

[1]- أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية – حقل تعليميات اللغات-، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، 2010، ص46.

[2]- الرازي الامام محمد بن ابي اسحاق، مختار الصحاح، ضبط وتحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة الجزائر،ط4،ص292.

[3]- نور الدين احمد قايد وحكيمة سبيعي، التعليمية وعلاقتها بالأداء البيداغوجي والتربية، مجلة الواحات للبحوثات والدراسات العدد08 (2010) ، ص 40.

يقصد بها كل جيل أن يزود جيل الذي يخلفه ليجعل منه على الأقل أهلاً لأن يحتفظ بمستوى الرقي الذي وصل إليه، أو لأن يرتفع به إذا استطاع»[1] .

ويعرف أيضا على أنه: « الدراسة العلمية لطرق التدريس وتقلباته وتنظيم مواقف التعلم التي يخضع لها التلميذ قصد بلوغ الأهداف المنشودة سواء على المستوى العقلي أو على المستوى الوجداني أو على المستوى الحسي»[2].

وبناءً على ذلك يمكن القول أن التعليم عملية منظمة ينقل المعلم معارفه إلى متعلميه بالشَّكل المباشر، وهو نقطة انطلاق لتطور المجتمعات وازدهارها،كما أن المجتمعات إذا لم يكن فيها تعليم فهي في خطر أشد من الداء العضال، فـ"شعب متعلم شعب لا يجوع ولا يتعرى".

4.مفهوم التعلـــــــــيمية (الديداكتيك) لغة واصطلاحا:

إن المجهودات المكثفة المبذولة في ميادين التعليم خلال عشرات من السنين الأخيرة بغية تحسين الجانب التربوي، انتهت إلى ضرورة فهم العملية التعليمية التعلمية أكثر من قِبَل القائمين عليها، وإلى معرفة حقَّة بأقطابها الممثلين في المعلم والمتعلم والمادة التعليمية، والعلاقة القائمة بين كل عنصر.ونظراً للأهمية البالغة التي يحتاجها ميدان التعليم ظهر إلى الوجود ما اصطلح عليه بـ"التَّعليميـــة".

التعليمية لغة: تعدّدت معاني التعليمية أو الديداكتيك في اللغات وهي كما يلي:

يقول الاستاذ حنفي بن عيسى: «كلمة التَّعليمية في اللغة العربية مصدر صناعي لكلمة تعليم والتي هي من الفعل علم»[3] .

[1]- حامد عبده الهوال، التعليم والتعلم في القرآن الكريم، ص10.

[2]- محمد الدريج، مدخل الى علم التدريس تحليل العملية التعليمية، قصر الكتاب، البليدة، ص08.

[3]- محمد الدريج، التدريس، كلية التربية بجامعة محمد الخامس بالرباط، العدد السابع، 1984، ص02.

أمّا في اللغات الأجنبية فإن كلمة التّعليمية مشتقة من الأصل اليوناني ديداكتيك، وتعني فلنتعلم أي يعلم بعضنا أو أتعلم منك وأعلمك. وكلمة ديداسكو. وتعني أتعلم، وكلمة ديداسكن وتعني التعليم[1].

اصطلاحا: يذهب جورج مونان في تعريفه للتعليمية أنها ظهرت مع علم اللسانيات تعليم اللغات ولها ترابط مع علوم أخرى؛ إذ يقول: «التعليمية مصطلح جد حديث ومن الراجح أنها مستنسخة من اللغة الالمانية من كلمة ديداكتيك التي تأسست وأنشئت على أنقاض مفاهيم اللسانيات التطبيقية في تعليم اللغات وهي تشير بوضوح إلى تفاعلات متعددة المباحث، لسانية وعلوم نفسية واجتماعية وبيداغوجية، وهي تؤكد الطموحات الأكثر نظرية والأكثر تجريدية»[2].

ولكن سميث يتجه باتجاه آخر، يرى بأنها «فرع من فروع التربية، خلاصتها المكونات والعلاقات بين الوضعيات التربوية وموضوعاتها ووسائطها ووسائلها وكل ذلك في وضعية بيداغوجية؛ وبعبارة أخرى يتعلق موضوعها بالتخطيط للوضعية البيداغوجية وكيفية مراقبتها وتعديلها عند الضرورة»[3].

بل وهناك من يضمها الى التدريس للكشف عن العلاقة القائمة بين المعلم والمتعلم، ويصرح بعضهم بقوله: «هي علم يهتم بقضايا التدريس اللغوي شاملة غير مجزأة من حيث تحديد السياسة العامة للمعارف اللغوية وطبيعة تنظيمها وعلاقتها بالمعلمين والمتعلمين وبطرق اكتسابها وبكيفية تفعيلها والصعوبات المتوقعة إلى غير ذلك مما له صلة بهذه الدائرة الكبرى»[4].

---

[1] -ينظر محمد مصابيح، تعليمية اللغة العربية وفق المقاربات النشطة من الاهداف الى الكفاءات، تاكسيج كوم للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، ص100.

[2]- مرجع نفسه، ص101.

[3]-مرجع نفسه، ص101

[4]- عبد المجيد عيساني، اللغة بين المجتمع والمؤسسات التعليمية، مطبعة مزوار، ط1، 2010، ص08.

مما سبق نلاحظ أن التعليمية تملك تعاريف عدة، ويعود ذلك لانطلاقها من عدة زوايا فهناك من يرى أنها اختلافات مفاهيم اللسانيات وتعليم اللغات وربط الصِّلة بين علوم لسانية ونفسية واجتماعية... ، والبعض الآخر يرى أنها تخص جانب التربية والتعليم تهتم بكل ما هو تعليمي تعلمي مع اختيار الطريقة المناسبة للإقناع وإيصال المعرفة.

المبحث الثاني:مكانة التعليم في الاسلام:

كانت الدعوة الاسلامية صاحبة الفضل الكبير في خلق الحركة العلمية والتَّعليمية في المجتمع العربي، فقد حثّ الاسلام على التعلم وأمر بالتعليم فرفع من قدر العلم والعلماء إلى مرتبة الأنبياء والملائكة لأن التعلم من أهم الوسائل التي وفق بها المسلمون في نشر الدّعوة الإسلامية، وبالمقابل لا يمكن لهم أن يذيعوا كلمة الحق إلا بعد أن يتحقق منهم التعلم فهو أمر لازم لتلاؤم حياة الأفراد مع المجتمع الجديد والدين الجديد.

1.العلم في القرآن الكريم:

ا.**فضل العلم في القرآن الكريم**: إن الدين دين علم ونور لا دين جهالة وظلمة، فأول ءاية نزل بها الوحي أمر فيها للرسول بالقراءة، وفيها تنويه بشأن العلم والتعليم؛ نلمسه في قوله تعالى: ﴿ اَقرأ بِاسْمِ رِبِّكَ اَلذِي خَلَقَ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقَ اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الاَكْرَمُ الذِي عَلَّمَ بِالقَلَمِ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[1].

فالقرآن الكريم هو الكتاب التّعليمي الذي لم يكن هناك كتاب غيره للمسلمين يتلونه ويتدبرون آياته، وكان كتاب القراءة الوحيد لفترة طويلة حتى بدأ تدوين الحديث الشريف؛ وهو جامع للمسلم يقرأ ويتلى في كل الأوقات

[1]-سورة العلق الاية (05).

ولكل الأغراض تتأثر به القلوب والمشاعر، وصفه الوليد بن المغيرة حينما سمعه يتلى فقال: «والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وأن أسفله لمغدق وما من قول البشر»[1].

وقد عظم ربنا قيمة أهل العلم في القرآن وما أجلّها وما أعظمها وذلك بأن أشهدهم على وحدانيته سبحانه وتعالى وعلى ألوهيته،فقال جل شأنه:﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُولُواْ الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لَآ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[2]؛ ففي هذه الآية نجد فيها أعظم شهادة منحها الله لأهل العلم بعد الملائكة المقربين وهي الشهادة بالوحدانية.

وربنا سبحانه وتعالى في آية أخرى يفاضل أهل العلم بينهم وبين غيرهم؛ فقال عزَّ من قائل:﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي اَلذِينَ يَعْلَمُونَ وَالذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[3]. ثم ترك الجواب لهذا السُّؤال الاستنكاري، وترك الجواب عند أهل البيان للعلم به، فإنه ليس هناك مفاضلة بين أهل العلم وبين غيرهم من الناس، ولذلك لا تفاضل بين العظيم الشريف النبيل وبين الخسيس الحقير، فلم يقل ربنا أهل العلم أفضل وإنما سكت للعلم به.

ويوم يرفع الله أهل العلم بالدّرجات أخبر بتلك الدّرجات وكل درجة في علم الله، الله أعلم بها وأنها لدرجة عظيمة وقال تعالى:﴿ يَرْفَعِ اللهُ الذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ دَرَجَات ﴾[4]. الذين آمنوا وأوتوا العلم، فَلِمَ لم يقل أوتوا العلم وكفى؟ لأن العلم قد يكون إلحاداً، وقد يكون زندقةً، وقد يكون فسوقاً وفجوراً[5]. بل إن الله

[1]- احمد ياسين احمد الخياري، محاضرات في علوم القرآن، مؤسسة المدينة للصحافة (دار العلم)، جدة، ط1، 1414-1993، ص14.

[2]-سورة آل عمران الاية (18).

[3]سورة الزمر الاية (18).

[4]-سورة المجادلة الاية (11).

[5]- عائض بن عبد الله القرني، اقرأ باسم ربك، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان،ط1، 1421- 2000، ص69 .

سبحانه وتعالى لم يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالاستزادة من شيء إلا من العلم؛ فقال ربنا سبحانه: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾[1].

ب.أساسيات العملية التعليمية في القرآن الكريم:

أولا:المعلِّم: هو من ركائز العملية التعليمية مهمته الإشراف والتوجيه يعرف على أنه « أحد الأركان المكونة للعملية التعليمية، إذ لا يقوم لها شأن في حالة غيابه لأنّه الموجه والمرشد والمدرس»[2].

وللمعلم صفات يجب أن يتحلى بها أثناء تأدية مهنته ومن بين هذه نذكر منها ما يلي:

1- الاخلاص في العمل: ويعني ذلك أن يكون خالصا لله تعالى بعيداً عن طلب أمور دنيوية. وقد أمرنا ربنا بالاخلاص في كل شيء حتى يحصل لنا المراد قال عز وجل:﴿وَمَآ أُمِرُواْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[3]. وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: « إنّما الأعمالُ بالنِّياتِ وانّما لكلِّ امرئٍ مَا نَوَى»[4].

ب.مراعاة الفروق الفردية:ونعني بذلك أن يتفقد المعلم أحوال تلاميذه سواءً كان من النَّاحية النَّفسية أو من الناحية العقلية، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الفروق، قول تعالى:﴿وَمِنَ ـ ايَتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالَارْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ ءَلَايَات لِّلْعَالَمِينَ﴾[5]، فقوله عزَّ وجل:﴿اِخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمُ﴾ فيه إشارة إلى إلى اثر العوامل الوراثية والبيئة في الفروق الفردية، فالألسنة واللغات واللهجات ترجع إلى العومل البيئيّة والألوان

[1]- سورة طه الآية (114).

[2]- احمد اسماعيل حجي، إدارة بيئة التعليم والتعلم، النظرية والممارسة في الفصل والمدرسة، دار الفكر العربي، ط1، 2000، ص223 .

[3]-سورة البينة الآية (05).

[4]- أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، الجامع الصحيح البخاري المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وايامه ج1، [كتاب بدء الوحي-باب كيف كان بدء الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم]تصحيح وتحقيق محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية- ومكتبتها، القاهرة،ط1، 1400 هـ، ص13 .

[5]- سورة الروم الاية (22).

ترجع إلى العوامل الوراثية[1].ومنه يمكن القول أن اختلاف الناس فيما بينها هو ما يسمى بالفروق الفردية، وهي من حكمة الله في هذا الكون، وعلى المعلم أن يراعي ذلك حتى لا يجحف في حق تلاميذه. والقرآن الكريم أعطى «مفهوم التباين بين الأفراد في القدرات والمواهب ودرجات الذكاء، فيضع الأسس التي ينبغي أن تستخدم كوسيلة لتوصيل المعلومة في قالبها التَّربوي الذي يتلاءم وحالة المتلقي في تنوعها في الفروق الفردية»[2].

ج-استعمال الشدة واللين: ويكون استعمال الشدة حين يستدعي الأمر لذلك واللين مثله، فكل منهما إذا لم يكن في وقته فإنه يفسد التلاميذ ويربيهم على الوحشية، وربّنا يدعونا إلى اللين في كل شيء وفي آيات كثيرة، ومن ذلك قوله تعالى:﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اَللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِر لَّهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الَامْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اَللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[3]. والآية الكريمة تدعوا إلى الأخذ بالرفق وعدم قساوة القلب لأنه يفرق الجماعة ويشتتها؛ ومنه فالحكمة في استعمال الشدة واللين أثناء تأدية العملية التعليمية فلا ضَرَر ولا ضِرَار.

ثانيا: المتعلم: هو الركيزة الثانية في العملية التعليمية، وهو الصَّفحة البيضاء التي تكتب عليها المعلومات والمعارف من قبل المعلم.

ومن الصّفات التي يجب أن يتحلى بها المتعلم نذكر منها مايلي:

[1]- ينظر محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، دار الشروق، القاهرة، ط7، 2001، ص252.

[2]- أحمد جهان الفورتيه، القرآن أصل التربية وعلم النفس، دار الملتقى للطباعة للنشر والتوزيع، ليماسول- قبرص،ط1، 1994، ص68.

[3]-سورة آل عمران الاية (159).

ا-اخلاص النية في الطلب: وهو شرط أساسي في التعلم حتى ينال المرغوب قال ابن عباس: « إنما يعطى الرجل على قدر نيته»[1].كما أنّ المتعلم هو أيضاً ملزم بالإخلاص، فلا يكون طَلَبُه للعلم مجلبة للتباهي وإنما للنفع والانتفاع، فالشواهد التي سردناها في صفات المعلم تنطبق أيضاً على الطّالب.

ب. الرحلة في طلب العلم: فالرحلة كانت من دأب العلماء المسلمين، كانوا يجوبون البلدان للبحث عن العلم دون الميالات بالمشاق والصعوبات التي تعترضهم، وقد أشار القرآن إلى صفة الرحلة في الطلب نحو قوله تعالى:﴿قُلْ سِيرُواْ فِي الَارْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾[2].وهذه الآية تدعونا إلى السياحة في الأرض والتدبر في الكون.

ومن أروع الأمثلة التي ضربها القرآن في شأن الرحلة لطلب العلم قصة سيدنا موسى مع سيدنا الخضر عليهما السلام؛ قال تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوَ امْضِيَ حُقُباً ﴾[3].فحرصاً منه على أن يجد العالم ليتعلم منه سلك معه مسلك المتعلم مع المعلم يريد أن يستزيد من العلم لا ممتحنا أو مجادلا. قال الحافظ بن رجب رحمه الله في ذلك: " لو استغنى أحد عن الرحلة في طلب العلم لا استغنى عنها موسى"[4].

ج.الاستعداد: يعد الاستعداد للتعلم من العوامل المهمة التي يجب أن تتوفر في المتعلم ويكون في مستوى نمو النضج المعرفي للمتعلم إمّا جسديّاً أو عقليّاً لدى الفرد. وقد أشار القرآن الكريم إلى عنصر الاستعداد قال تعالى:﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ الَاسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ انبِئُونِي بِأَسْمَآءِ هَؤُلَآءِ ان كُنتُمْ صَدِقِينَ ﴾[5]. وبالتَّالي فإن

[1]- النووي، اداب العالم والمتعلم والمفتي والمستفتي وطالب العلم، مكتبة الصحابة للطباعة والنشر والتوزيع، طنطنا، ط1، 1408-1987، ص07 .

[2]-سورة العنكبوت الاية(20).

[3] - سورة الكهف الاية(60).

[4]- حمد بن ابراهيم العثمان، الـنُّبَذ في آداب طلب العلم، مكتبة بن القيم، الكويت، ط4، 2002، ص30 .

[5]- سورة البقرة الآية (31)

تلقي آدام للأسماء كان باستعداد خاص وتلقي الملائكة للأسماء باستعداد خاص كذلك، ولا يمكن تعليمهم قائماً دون وجود قابلية منهم[1].فالاستعداد للتعليم آكد حتى يتحقق التعلم في شكله الحقيقي.

ثالثا:المادة التعليمية: وهي « تلك المحتويات اللغوية والمحددة مسبقاً في المقررات والبرامج المُعِدة من طرف الخبراء والمختصين في شؤون التعليم، والموزعة على أطوار مراحل التعليم المختلفة »[2]. كما يجب أن يراعى فيها قيمة المعرفة التي يتلقاها المتعلم في درس من الدروس، وأن تكون مناسبة للطاقة الاستيعابية، وربُّنا يقول في محكم التنزيل:﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً اِلَّا وُسْعَهَا﴾[3] . كما يراعى أيضا حجم الدروس فلا تعطى دفعة واحدة حتى لا يصاب بالإرهاق الإدراكي؛ قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ هَذَا اَلْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾[4].

2- العلم السنة النبوية:

ا.فضل العلم في السنة المطهرة: فالعلم مقدّس في نظر الاسلام، وهو أسمى شيء في الحياة لدى المسلمين، وللعلماء العاملين في الاسلام منزلة تلي منزلة الأنبياء، وقد دعا الرسول صلى الله عليه وسلم إلى التعليم وأوجبه، حيث نصح بتعليم الأبناء الذكور منهم والإناث؛ قال عليه الصّلاة والسّلام: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[5] . من المهد الى اللحد وكان يرى ذلك واجباً دينيّاً، وكان يرى في تعمق اتباعه في دراسة المخلوقات وعجائبها وسيلة التعرف على قدرة الخالق، وكان يرى المعرفة تنير طريق الايمان مردداً عليهم اطلبوا العلم ولو في الصين وهكذا أصبح على المسلم وجب عليه أن يطلب المعرفة من الأصدقاء والأعداء؛ ومن عظيم الاهتمام بالعلم

---

[1]- خدير المغيلي، محاضرات في نظريات التعلم في ضوء الدلالات التعليمية للخطاب القرآني، قسم اللغة والادب العربي، جامعة ادرار، السنة الجامعية: 2016-2017، ص05 .

[2]-ينظر أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية- حقل تعليمية اللغات-، ص143.

[3]- سورة البقرة الآية(286).

[4]-سورة الفرقان الآية (32).

[5]- ابن ماجه الحافظ ابو عبد الله محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه[باب فضل العلماء والحث على طلب العلم]ج2، علق عليه فؤاد، المكتبة الاسلامية، تركيا ـ اسطنبول، ص72 .

أن تولى النبي عليه الصلاة والسلام تأصيله، حيث أن اجتماع الناس لتعلم العلم فإن السكينة تنزل عليهم والرحمة تغشاهم وربنا يذكرهم فيمن عنده؛ وقال:« من سَلكَ طَريقاً يلتمسُ فيه علماً سهَّل الله به طريقاً الى الجنّة»[1].

ولقد شجّع الاسلام على الحركة العلمية الدّينية لأن معرفة الدين تتطلب وجود القارئين والكاتبين فكان طبيعيّاً أن يشجع النبي صلى الله عليه وسلم على تعلم الكتابة والقراءة وقد ورد أنه عليه الصلاة والسلام في غزوة بدر كان فداء بعض الأسرى الذين يكتبون أن يعلموا الكتابة لعشرة من صبيان المدينة، وكان عليه السلام يجالس أصحابه في المسجد ويعلمهم دينهم، وجاء في الصّحيح « أن رسول الله عليه الصلاة والسلام بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله وذهب واحد، قال فوقفا على رسول الله فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهباً، فلما فرغ رسول الله عليه الصلاة السلام قال: ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما احدهم فئاوى إلى الله فآواه الله، وأمّا الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأمّا الآخر فأعرض فأعرض الله عنه»[2] . فطالب العلم هو في كنف الله وإيوائه ومن أعرض عن مجلس العلم أعرض الله عنه وحرم نفسه من الخير.

وعلى ضوء ما سبق ذكره نلاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم عمل على محاربة الأمية بجميع أشكالها واخترام جذورها فاستعمل سلاحا مضادّاً لها ألا وهو العلم، فأمر الصحابة على التَّعلم وندبهم بالتعليم، ورفع قدر العلماء وجعل لهم الأفضلية في الأرض وفي السماء، وبشرهم بأن درجاتهم تتلوا درجات الأنبياء .

[1]- الترمذي محمد بن عبسى، صحيح الترمذي[باب فضل العلم]ج13، تح: حافظ بن العربي، مكتبة المعارف، بيروت ـ لبنان، ص28.

[2]-ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، الجامع الصّحيح، [باب من قعد حيث ينتهي به المجلس، ومن رأى فرجة في المجلس فجلس فيها]، ص40-41.

2.طرائق التعليمية في الأحاديث النبوية:

للعملية التعليمية طرائق عديدة،كل طريقة تختلف عن الأخرى بحسب نوعية الموضوع، وسنحاول أن نطبق هذه الطرائق على بعض الأحاديث النبوية .

ا– طريقة المحاضرة (الإلقائية): وتعدّ هذه الطريقة أقدم طرائق التدريس، حيث يقوم المعلم بتقديم معلوماته بصورة شفوية إلى المتعلمين مرفوقاً بالشرح والتوضيح المباشر بدون مناقشة أو مشاركة.وطريقة المحاضرة تستدعي حاسة السّماع ويغلب عليها الإلقاء، وكانت طريقة النبي صلى الله عليه وسلم في التعليم ويظهر ذلك على سبيل المثال إلقاء كلماته على الناس في فتح مكة وخطبة حجة الوداع إذ كان عليه الصلاة والسّلام يلقي خطبته والصحابة الكرام يستمعون إليه، حيث قال: « إنّ مكّة حرمها الله ولم يحرمها النّاس فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخِرِ أن يسفك دما...وليبلغ الشاهد منكم الغائب»[1]. وعن جرير قال أنه عليه السلام قال له في حجة الوداع: استنصت الناس.فقال «لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض»[2]. ففي هذا الموقف كان أشبه بمدرج عامِر بالطُّلاب، فالأستاذ يلقي محاضرته مشافهةً بالشّرح والتّوضيح وبشكل مباشر، والطّلاب يستمعون وينصتون لما يلقى عليهم من الدروس.

ب– طريقة المناظرة: تعد طريقة التعليم بالمناظرة من مميزات طرق التربية الاسلامية ووسيلة من وسائل التعليم والتعلم، لأن التبادل العلمي يقوم بين فريقين، يتناول موضوعاً واحداً لاتجاهين مختلفين، يقوم كل جانب بعرض القضية وتحليلها وتفسيرها ونقدها مع بيان أدلته وحجته وبراهينه التي تبين وجهة نظره، وعلى الجانب الأخر أن يتصدى لهذا الرأي بأسانيده وقرائته، حتى نقف على جوهر القضية من خلال المناظرة"[3] يكون هذين الطرفين ذا رأي مختلف فكل منهما يريد أن يفند رأيه ويبطل رأي الأخر بالدليل والبرهان دون تعصب أو انفعال، كما أنه «

[1]– البخاري، الجامع الصحيح البخاري المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وايامه ، [كتاب العلم–ليبلغ العلم الشاهدُ الغائب]، ص54.

[2]– نفسه [باب الانصات للعلماء]،ص39 .

[3]– خالد الزواوي، التعليم المعاصر قضاياه التربوية والفنية، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006، ص157.

لا بأس برفع الصوت في المناظرة (في العلم). وحجة هذا معنى الحديث أنه:"عندما مسح الصحابة ارجلهم في وضوئهم ليدركوا الصلاة فنادى عليه الصلاة والسلام بأعلى صوته: "ويلٌ للأعقاب من النار" مرتين أو ثلاثاً»[1].

ومن فوائد المناظرة انها: «تُعوِّد التلميذ على الجرأة، واقتحام المشكلات، والاعتماد على الذات، وعدم الهيبة من القوة التي يواجهها، وفي ذلك دعم للشخصية وصَحْو للضمير»[2].

ومن الأمثلة التي يستشهد بها في هذا الشأن الحوار الذي دار بين الرسول صلى الله عليه وسلم وضِمَام بن ثَعْلَبَة حين سأله عدة أسئلة عن نبوته صلى الله عليه وسلم[3]، فالدَّارس لنص هذا الحديث يلاحظ طريقة الحوار العلمي التعليمي الذي كان بين المعلم الأكبر صلوات الله عليه وذلك الاعرابي الذي بلغه خبر الاسلام وأراد التأكد من المعلم الخبير، فكانت ثمرة تلك المناظرة التعليمية التفاعل والاستجابة الذي يؤدي حتما الى الاقتناع والقبول، وبهذا يغدوا الحوار والمناظرة أحد الطرق التربوية النبوية التعليمية التي طبقت في جامعة النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

3- طريقة المناقشة : وهي أسهل الطرائق ولا تحتاج الى وسيلة، فالمناقشة قائمة على بذاتها على الحوار والسؤال، فالمعلم لا يتكلم وحده، بل يحدث تبادل معرفي بينه وبين المتعلم، بالنقاش في موضوع ما[4].فهذا لا يتحقق إلا بالمشاركة لذلك فإن هذه الطريقة يغلب عليها الحوار.

وتكمن أهمية هذه الطريقة أنها تتيح للمتعلم إبداء رأيه وتنمي قدراته العقلية، وفي الوقت نفسه اختبار له إن كان فهم المعلومة فهما صحيحاً؛ وجاءت الاشارة إلى طريقة المناقشة في الحديث الشريف –سؤالاً- فيما رواه ابن عمر قال عليه الصلاة والسلام: « إن من الشّجَر شَجَرةٌ لا يسقط ورقها، وأنها مثل المسلم، حدثوني ما هي؟ قال: فوقع الناس في شجر البوادي. قال عبد الله: فوقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت. ثم قالوا: حدِّثنا يا رسول الله

[1]- ابن بطال ابو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، شرح صحيح البخاري ج1، ضبط نصه وعلق عليه ابو تميم ياسر بن ابراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ص138 .

[2]- مرجع السابق، ص 175.

[3]-ينظر محمد البخاري، الجامع الصحيح [كتاب العلم-باب ما جاء في العلم القراءة والعرض على المحدث]، ص39.

[4]- ينظر صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، دار هومة، الجزائر، ط3، 2000 ، ص62.

ما هي؟ قال: هي النخلة »[1]. فالرسول عليه السلام طرح المسألة ليناقشها مع الصحابة عن حال المسلم فأنه يأتيه الخير من الصلاة والصوم فلا ينقطع عنه فهو دائم كما تدوم أوراق النخلة، ثم الثمر الكائن منها في أوقاته[2].

وهذا التشبيه ذكره الله في كتابه ضرب به المثل للناس؛ قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَة طَيِّبَة أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَآءِ﴾ يعني: النّخلة وهي﴿تُوتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِين﴾[3].

ومن السؤال الذي طرحه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه يمكن أن يحلَّل على ثلاث مراحل وضعها إبراهيم القرش[4]:

ا. مرحلة الكشف: وتقوم هذه المرحلة في طرح المعلم السؤال على التلاميذ ليكشف جوانب غابت عن أذهانهم، وهذا ما حدث مع النبي الكريم صلى الله عليه وسلم عند طرحه للسؤال.عن الشجرة التي لا يسقط ورقها.

ب.مرحلة الارشاد: ويتم فيها تصويب الخطأ.فالصحابة الكرام لم يتمكنَّوا من معرفة هذه الشجرة التي كان يقصدها النبي صلى الله عليه وسلم.

ج.مرحلة الترغيب: وهي حث الطلبة على طلب المعرفة الصحيحة من خلال استدراجهم إلى الحوار عبر السؤال والجواب حتى يصل بهم إلى الحقيقة؛ فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يتوقف عند معرفة الشجرة التي لا يسقط ورقها وإنما أراد أن يبين لهم قيمة المسلم إذا أدّى حقوق ربه.

ونستنتج من خلال ما ذكر أن النبي الكريم عليه السلام كان المعلم الأول فقد مَارَس كل أنواع الطرق التعليمية الحديثة قبل أن يتوصل اليها المربون ويضعونها في مصنفاتهم منذ أربعة عشر قرناً، فما على الأمة الاسلامية إلا أن تتمسك بعقيدتها لتجد حلاً مشكلاتها في جميع أمورها.

---

[1]- محمد البخاري، الجامع الصحيح [كتاب العلم-باب طرح الامام المسألة على اصحابه ليختبر ما عندهم من العلم]، ص38

[2]- ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ص141.

[3]- سورة ابراهيم الاية (26).

[4]- جمال الدين القرش، مهارات التدريس الفعال، دار النجاح، ط1، 2012، ص153 .

المبحث الثالث:التعليم عند المسلمين (مناهجه وأمكنته):

1- مناهج التعليم:

إن مناهج التعليم الإسلامي تختلف باختلاف الأماكن والأعصر، وكيفية تلقي العلم كانت مستمدة عن النبي عليه السلام ودأب عليها الصحابة الكرام حتى بعد حياته، إلا أن بعض التغييرات التي حدثت في عهد الفاروق كان لتفوت قابلية طالبي العلم، وتزايد اتساع الرقعة الاسلامية يكون التعليم بحسب طبيعة كل منطقة وما يناسبها. إن من أولوية وضع المنهج التعليمي ينبغي أن ننظر إلى حالة المجتمع في ذلك العصر لنرى مبلغ حاجاته ومطالبه وهذا السر الذي دفع المربين في الإسلام إلى تعليم الصبيان علوماً معينة [1].

إن أول مقررات المناهج الدراسية هو القرآن الكريم وهذا في كل البلدان الإسلامية، فكان المسلمون يبدؤون بإقرائه للطفل قراءة متدرجة تبتدئ بتلقين حروف الهجاء وكتابتها ثم بعد يشرع ذلك مباشرة في تعلم قصار السور، وتسمى بالتعليم الابتدائي وهي تعتمد طريقتين اثنين:

- الطريقة الأولى: طريقة تبتدئ القرآن من سورة البقرة الى السورة التي بعدها الى ختم القرآن على ترتيب المصحف.

-الطريقة الثانية: تبتدئه من آخر سورة في القرآن على ترتيب المصحف من المعوِّذتين وكانوا يبتدئون بالفاتحة في كلا الحالتين[2]. وهاتان الطريقتان مستعملتان إلى اليوم فالأولى غالباً ما تستعمل مع فئة الكبار الذين سبق لهم عرض القرآن مرة، أما الأخرى فتستعمل مع فئة الصغار لأن السور قصيرة تناسب سنهم وذاكرتهم.

[1]- الأهواني محمد فؤاد، التربية في الاسلام، ص164.

[2]- الطاهر بن عاشور، أليس الصبح بقريب، دار سحنون للطباعة والنشر والتوزيع مصر والترجمة ودار السلام للنشر والتوزيع تونس، ط 1،1427- 2006، ص 44 .

وتختلف المناطق في هذه المرحلة – الابتدائي- بحسب مذاهب الأمصار الاسلامية فالبعض يتفرغ للقرآن دون أن يضيف إليه علماً آخر والبعض الآخر يمزجون تعليم القرآن بعلوم أخرى، ويشير ابن خلدون إلى هذه الطرائق المختلفة فيقول:« إن مذهب أهل المغرب الاقتصار على تعليم القرآن، فلا يدرس الولد معه شيئاً من الحديث أو الفقه أو الشعر أو الأدب، إلى أن يحذق أو ينقطع دونه فيكون انقطاعه انقطاعاً عن التعليم بالجملة. أما أهل الأندلس فيبدؤون بتعليم القرآن إذ يعتبرونه منبع الدين والعلوم. إلا أنهم لا يقتصرون على تعلم القرآن بل يخلطون في تعليمهم للوِلدان رواية الشعر في الغالب والترسل وأخذهم بقوانين العربية وتجويد الخط والكتابة . وفي إفريقية كذلك يخلطون تعلبم القرآن بالحديث في الغالب وتدرس قوانين العلوم ويلقّن بعض مسائلها إلا أن عنايتهم بالقرآن واستظهار الوِالدان له ووقوفهم على اختلاف رواياته وقراءاته أكثر من سواه. وعنايتهم بالخط تبعا لذلك» [1]. وتلكم هي نماذج الاختلاف في المناهج عند المسلمون، كما أن بعضاً من الأصقاع الاسلامية تتشابه فيما بينها لكن لا يكون إلا في جزء من ذلك كتشابه أهل المشرق (العراق وما جاورها من البلاد الاسلامية وأهل افريقية أيضا) فكانوا ينوعون كأهل الأندلس، إلا أنهم يختلفون عنهم من جهتين: فقد كانت عنايتهم بمُدَارَسة القرآن تفوق عنايتهم بعلوم أخرى، وأن الخط لم يكن من العلوم التي يُقْرن تعليمها بتعليم القرآن، وإنما كانت له معاهد ومعلمون على انفراد كسائر الصناعات[2]. والاختلاف الذي ذكر كان اختلافاً في المظهر لا الجوهر وهو القرآن.

والأولى أن يأخذ الطفل من العلوم ما يقوّم به لسانه وعارفاً بمبدئيات كل علم ما يجعله متميزاً عن غيره من عامة الناس، وهذا ما ذكره أحمد شلبي على لسان الجاحظ في هذا الشأن أنه وضع منهاجاً مفصلاً يذكر فيه أهم النقاط فيقول:«ولا تُشغِل الصّبي بالنَّحو، إلا ما يؤديه إلى السَّلامة من فاحش اللحن، ومن مقدار جهل العوام في كِتابةٍ انْ كَتَب، وشِعْرٍ إنْ انشَد، وشيءٍ إن وصَفَه، وما زاد على ذلك فهو مشغله عمَّا هو أولى به، كرواية الخبر الصادق

[1]– عبد الله عبد الدائم، التربية من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين، دار العلم للملايين، بيروت– لبنان، ط1، 1973 ص22 .

[2]– نهى عارف الحسن، التربية عند ابن خلدون، رسالة رفعت إلى دار التربية في الجامعة الامريكية في بيروت، لاستكمال المتطلبات لنيل درجة استاذ علوم، الجامعة الامريكية في بيروت، حزيران 1959، ص58 .

والمثل الشاهد، والمعنى البارع، ويعرف الحساب دون الهندسة والمساحة، ويعلم كتابة الإنشاء بلفظ سهل وعبارة حلوة، ويحذر التَّكلف ويحثه في قراءة كتاب البلغاء أن يستفيد المعاني لا الألفاظ»[1].

وتأتي المرحلة الثانية أو العالية وتعد هذه المرحلة غاية في الرقي والتَّقدم، وهي أيضا متعددة المناهج إلا أن الطالب غير ملزم فيها بمادة معينة وتكون له الحرية المطلقة في التعلم كما أن أستاذه لا يجبره باتباع منهج معين ما لم يحل وجود مواد مشتركة في جميع المناهج وهي العلوم الدينية واللغوية.

وقد لجأ المسلمون في تقسيم المناهج إلى قسمين أساسيين هما: المناهج الدينية الأدبية والمناهج العلمية الأدبية[2] فتلخص فيي ما يلي:

1- علم الفقه الذي يبحث في الصلاة والصوم والزكاة والمبيع والشراء...الخ،

2-علم النحو ويشتمل على مبادئ ووجوه الأعراب وتنزيل الأسماء والحروف والنوادر ....الخ

وعد القابسي هذين العِلْمين من العلوم الاجبارية التي يجب على الطفل أن يتعلمها، فالأول يعين على معرفة دينه وما يتوجب عليه من العبادات وكيفية أدائها، والآخر يساعده على فهم الدين دون التعمق في معرفة غرائب اللغة.

3-علم الكلام ويضم اراء والمذهب وأصناف النصارى واليهود وأرباب الملل النِّحل....

4- العروض وينظر في القوافي والزحافات ...

5-علم الأخبار وخاصة تاريخ الفرس والتاريخ الاسلامي وما قبل الاسلام وتاريخ الإغريق والرومان ويذكر فيه الملوك وألقابهم والفتوح والمغازي[3].

---

[1]-خيرة شاوش، الوحدات القرآنية المقررة في مرحلة الابتدائية وعلاقتها بالتحصيل اللغوي لدى السنة الثالثة انموذجا، مذكرة تخرج لنيل شهادة الليسانس في الادب العربي، تحت اشراف الاستاذ د.هشام خالدي، جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية، معهد الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، السنة الجامعية:2008-2009 ،ص35 .

[2]- عبد الله عبد الدائم، التربية عبر التاريخ من العصور القديمة الى اوائل القرن العشرين، ص202

[3]- الخوارزمي محمد بن احمد بن يوسف، مفاتيح العلوم، تح ابراهيم الابياري، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ط2، 1409-1989 ص119.

وفي حالات كثيرة كان يدرس الحساب لفائدته في علم الفرائض والتقويم؛ يقول ابن رجب البغدادي:«كذلك الحساب يحتاج منه إلى ما يعرف به قسمة الفرائض والوصايا والأموال التي تقسم بين المستحقين لها، والزائد على ذلك مما لا ينتفع به إلا مجرد رياضة الاذهان وصقلها لا حاجة إليه، ويشغل عما هو أهم منه»[1].

والنوع الثاني من المناهج ونعني المناهج العلمية الأدبية، كان ظهورها يوم اكتمل نمو الفكر الاسلامي وبلغت الحضارة ذروتها في جميع العلوم وانفتاحها على الثقافات الأجنبية بتصنيف الكتب وترجمتها، واتساع دور العلم وجالس العلماء. وقامت كشوفات علمية هائلة في كل العلوم والصناعات، وفي ظل هذه الحركة العلمية الواسعة أدى إلى التغيير في المناهج وتطورها، واشتملت هذه الأخيرة على علوم عقلية غير إسلامية مستمدة من الأجانب، وهي:

ا.العلوم الطبيعية وتشمل الطب بفروعه: التشريح وعلم تشخيص الأمراض وعلم العقاقير والعلاج والتغذية ...الخ، ثم علم المعادن والمناجم والنبات والحيوان وكيمياء تحويل المعادن إلى ذَهَبِ (السمياء).

ب.العلوم الرياضية: وتشمل الجبر والهندسة والبسائط وعلم الفلك والموسيقى والميكانيكا (علم الحيلة)، وعلم الالات الرافعة...الخ.

ج.علم النطق والفلسفة[2].

ونستنج من خلال ما سبق ان المسلمون قسموا التعليم الى درجتين فالدرجة الاولى تسمى بالابتدائية وتختص بتعليم القرآن والخط والكتابة، والدرجة الثانية تسمى بالثانوية والعالية تكون بعد إكمال الأولى، فالطّالب عندما ينقل إلى هذه المرحلة يدرس ما شاء؛ وتقسم العلوم فيها إلى قسمين: فالأول يهتم بدراسة علوم الدين وعلوم العربية وعلم الكلام، والقسم الآخر يدرس فيه العلوم التجريبية والعلوم الدقيقة كالطب والهندسة ...

[1]- الاهواني، التربية في الاسلام، ص175.

[2]-الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص151.

2- أمكنة التعليم:

من دون مين أن القرآن الكريم والحديث الشريف هما الركيزة الأساسية ومحور المادة التعليمية عند المسلمين، وكان مكان تدريسهما في المساجد، وعندما بلغت الأمة الاسلامية أوجّ عطائها في الجانب العلمي والثقافي في أعصر متتالية، ظهرت هناك مؤسسات تعليمية فرضت نفسها على الواقع الإجتماعي الإسلامي، وســـأتناول أهم المؤسسات التعليمية التي كان الناس يقصدها أهل العلم:

ا- الكُـــتَّاب: بضم الكاف وتشديد المثناة الفوقية[1]. ويسمى أيضاً بالمكتب وهو موضع التعليم، ويعد أقدم أنواع المعاهد التعليمية في العالم الإسلامي وقد اشتق اسمه من التكتيب وتعليم القراءة والكتابة[2]، وأول من سنّه هو سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأقام عامر بن عبد الله الخزاعي أن يلازمهم للتعليم وجعل له رزقاً من بيت المال وأمره أن يجلس للتعليم بعد صلاة الصبح إلى العالي، ومن صلاة الظهر إلى العصر، ويستريحون بقية النهار، كما جعل يومي الخميس والجمعة استراحة من كل أسبوع[3]؛ وقد نظمها بعضهم هذا في أبيات له؛ فقال:

وَنجلُ خَطّاب لَهم قَد جَمعَا ... فِي مَكتبِ صِبْيَة اسْلاَم مَـعَا

فَأَمر لِكَتْب لِلـــــــبرِيد ... وبالتّعْليم فَهمِ ذِي الـشَّـديد

وَبالصّباحِ يَجلسُون لِلضُّحى ... وَفِي المَسَاءِ بَعدَ عَصر سَـرّحَا

وَبعد أن جاء من الشّام شَرَع ... تَركَ الـقِراءَة في يَومَين وَ دَعْ

يَـــومَ خَميس مَع جُمْعة لِمَا ... رَأَى بِهِم مِن تَـعَب تَـحكّمَا

---

[1]- محمد الطاهر بن عاشور، أليس الصبح بقريب التعليم العربي الاسلامي، ص49.

[2]- محمد شلبي، التربية الاسلامية نظمها فلسفتها تاريخها، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط6، 1978، ص48

[3]- ولهذه قصة معروفة عند الناس هي ان عمر خرج الى الشام عام فتحها وأطال الغيبة فيها واستوحش الناس لفقده، فلما رجع خرج الناس شوقا اليه للقائه على بعد من المسافة وكان خروجهم يوم الخميس غدوة، واول من اتصل به الاولاد لخفتهم ونشاطتهم وفرحهم به. وبات الناس معه ليلة الجمعة في بقية سفره فأصبح على المدينة ودخل قبل الصلاة فقال للاولاد: انتم خرجتم وتعبتم يوما في الخروج ويوما في الرجوع وقد جعلت لكم يوم الخميس يوم راحة وكذلك من جاء بعدكم الى يوم القيامة.

فَصارَ سُنَّةً وَقد دَعا الامَـــام لِمَن لَهَا أحْيَا الَى يَوم القِيَام

نقله الـــنَّفرَاوِي عَن زَرُّوقِـــي كَمَا أتَى عَن صَاحِب الفَارُوق

أما الحديث عن صفة التعليم فإنه يرسل الطفل إلى الكتاب الذي غالبا ما يكون بجانب المسجد حتى يتسنى للتلاميذ إدراك صلاة العصر جماعة، يشرف على تعليم هؤلاء التلاميذ معلما حافظا لكتاب الله وعارفا بالفقه متخذا التدريس مهنة ومعاشا له، وأما عن حجرة الدرس فتكون واسعة بها عدد كبير من الطلبة، مما يستدعي وجود أكثر من معلم، كما تكون هذه الحجرة بسيطة في أثاثها وفرشها فالطلبة يجلسون على الأرض والمعلم كذلك إلا أنه تبنى له منصة تشبه الكرسي ليتمكن من رؤية جميع تلاميذه، وله السّيطرة التَّامة داخل الحجرة بحيث يضع برامجه بحسب ما يناسبه دون تدخل الدولة في ذلك، لأن هذا المعلم يتقاضى أجره من تلامذته على ما اشترط عليه ولي الطالب إمَّا يوميّاً أو شهريّاَ، وقد يكون رغيف الخبز يقدم له كل يوم.

وجرت عادتهم بأن يدخل الطفل باكراً إلى الكتاب ومعه لوح ودواة وقلما، إذا كان لا يحسن الكتابة فإن معلمه يقوم بكتابة لوحه وتشكيله على قدر ما يحفظ الطفل، أما إن كان يحسن الكتابة فإنه يأتي بلوحه مكتوبا ويكتفي المعلم بتشكيله فقط. وفي المساء وبعد صلاة الظهر بمراجعة ما كتبه بأمس مراجعة جيدة تمكنه من الحفظ، وبعد العصر يستظهر ما حفظه لمعلمه فإذا رضي عنه محا ما حفظ وكتب على قدر ما يحفظ وهكذا دواليك. ولم تحدد سن التعليم في الكتّاب وكذلك مدة الدراسة، وكان الأمر متروكاً لتقدير من ولي أمر الصبي وإلى مدى استعداد الطفل وقابليته للتعلم إضافة إلى غنى أهل الصبي وذويه وقدرتهم على الإنفاق في تعليمه[1] مما جعل طلبة العلم يقصدون الكتاتيب رغم كبر سنهم فبلغوا مُناهم ومقصودهم.

وكانت مدة بقاء الطفل في الكتاب خمسة أعوام أو ستّة على الأكثر، وتكون على الغالب إبتداءً من السنة الخامسة أو السادسة من عمره إلى السنة العاشرة أو الحادية عشرة يحفظ خلالها القرآن الكريم كله أو بعضه عن

[1]– الأهواني أحمد فؤاد، التربية في الاسلام، دار المعارف بمصر، ص59

ظهر القلب أو روايةً وإتقاناً، ويتقن فنَّيْ الكتابة والخط، ويلِمُّ بمبادئ اللغة العربية، ومبادئ الحساب الاولية[1].

وأما عن أسلوب التعزيز والعقاب في الكُتّاب فالكسول والمتهاون فإنه يعرض للتوبيخ وإن لزم الأمر ضرب بالعصى والمقارع، أما التلميذ النجيب يكافؤ ويجازى، وخاصة إذا تم حفظ القرآن كاملاً فإنه يحتفل به ويجعلون له "ختمة" .وبعد ذلك ينصرف إلى تعلم مهنة ليكسب بها معيشته أو أن ينتقل لتلقي علوماً أخرى.

ب- المسجد:

يعد أقدم المؤسسات التعليمية وهو من ركائز قيام الدولة الإسلامية، وانتشرت المساجد بانتشار الدعوة الاسلامية كان مكاناً للعبادة وداراً للقضاء ومجلساً للعلم، فالمسلمون الأولون تلقوا فيه آيات الكتاب المبين، وعلم الفرائض والدين، لأنه غدا مركزاً ثقافياً للدراسات الدينية التي تدرس فيها تعاليم الدين الاسلامي؛ ومع مرور الأيام حتى انتشرت المساجد في كل بقاع الأرض، ومن أشهر المساجد والجوامع التي قامت فيها حلقات العلم ما يلي:

- جامع المنصور أنفقت فيه أموال طائلة في بنائه فكان قبلة أنظار الطُّلاب والأساتذة، جلس فيه الكسائي- وكان الفراء والأحمر وابن السعدان من تلامذه- وجلس فيه أبو العتاهية وأملى من شعره.

- جامع دمشق انفق على بنائه خراج مملكة وكان المسجد مركزاً هاماً من مراكز الثقافة في العالم العربي الاسلامي.

- جامع عمرو بن العاص جلس فيه سليمان بن عتر التجيبي، وظل منذ ذلك الحين مركزاً ثقافياً ومحكمة للقضاء ولم يكن منحصراً على الدراسات الدينية بل تعداها إلى الدراسات اللغوية والأدبية فكان الكميت بن زياد وحمّاد الراوية يلتقيان في مسجد الكوفة يتذاكران أشعار العرب وأيامها وكذلك علم العروض[2].

[1]-محمد اسعد طلس، التربية والتعليم في الاسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، جمهورية مصر العربية، ص68

[2]- عبد الله عبد الدائم، التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى اوائل القرن العشرين، ص153 .

ج- منازل العلماء:

لم تكن منازل العلماء مكاناً عاماً للتعليم كبقية الأماكن العلمية إلا أن الحاجة جعلت منها مراكزاً تعليمية ومن بين هذه الدُّورِ التي كانت محل العلوم منزل الأرقم بن أبي الأرقم فقد كان داره مجرى للتعليم الإسلامي في بداية الدعوة المحمدية، فكان الصّحابة الكرام يتلقون تعاليم الدين الإسلامي من الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الدار، ثم بعدها في منزله صلوات الله عليه يلتف حوله المسلمون ليعلمهم ويزكّيهم. بالإضافة إلى ذلك أن مالك بن أنس بعد أن تعرض لتلك المحنة من والي المدينة أصيب بمرض خطير فألزمه بيته، فبدأ يلقي فيه دروسه على طلبته. كما أنه كثيرا ما كانت المنازل للتحديث ومن أمثلة ذلك يذكر أن «عبد الرحمن بن هرمز الأعرج كان يحدث الناس في بيته في المدينة، وكذلك كان نافع وكان منزله بناحية البقيع. وكان مالك يأتي ابن شهاب في بيته في بني الديل»[1].

د- دكاكين الوراقين:

كانت منتدى فكري يلتقي فيه العلماء والأدباء وطلاب العلم، حتى أن الوراقين كانوا يحبونهم ويتناقشون معهم، مما أحدث حركة علمية وملتقى فكري ونتاج علمي، كما يمكن أن نربط بين أسواق العرب في الجاهلية وبين دكاكين بيع الكتب في الإسلام، فقد فتحت هذه الدكاكين في الأصل لأغراض تجارية ثم غدت مسرحاً للثقافة والحوار العلمي[2].

لم يكن ظهور دكاكين مصدر غذاء الأبدان فحسب وإنما كان غذاء للعقول والأنفس، وانتشرت هذه المهنة انتشارا واسعاً في البلدان والمدائن، لأن بائعوا الكتب كانوا من العلماء والأدباء أمثال ابن النديم صاحب الفهرست، وياقوت الحموي صاحب معجم البلدان، كما أن الجاحظ كان يكتري هذه الدكاكين ويبت فيها

[1]- الطاهر بن عاشور، أليس الصبح بقريب، ص50

[2]- المرجع السابق، ص148

للنظر[1]، وما كان لهذه الاماكن من الأهمية البالغة في نشر العلم وتعليمه. وإن اعتناق أفاضل الناس لدكاكين الوراقين ينتج حركة علمية لا تخص العلماء والطُّلاب ومحبِّي المعرفة وحدهم وإنما يشمل النّشاط الثقافي والعلمي لباقي حوانيت البيع والشراء التي لم تكن لها علاقة بالكتب.

هـ- المكتبات:

هذه الأخيرة كانت هي الأخرى المنبع الذي يرتوي منه طلاب العلم ورواد المعرفة، شهدت توسعاً كبيراً في أوساط المجتمع الاسلامي وخاصة بجانب المساجد والمدارس، كانت في متناول جميع أفراد الشعب مما جعل العامة والخاصة يرتادون المكتبات لاقتناء الكتب وقرائتها، ولست أبالغ في قليل أو كثيرا إذا قلت أن المكتبات هي القاعدة الصلبة التي تقوم عليها مختلف الجهود الثقافية في مجتمع من المجتمعات وفي مقدمتها الجهود التربوية الى درجة تجعلنا في كثير من الأحيان نتخذها معيارًا نحكم به على مدى تقدم المجتمع من تخلفه[2].

وقد عرفت المكتبات في العالم الاسلامي منذ القديم، ولعل أقدم الخزائن العربية التي عرفت بعض أخبارها هي خزانة الخليفة الأموي الحكيم خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وقد ظلت خزانة خالد هذه محفوظة في البلاط الأموي إلى خلافة الإمام العادل عمر بن عبد العزيز، ففتحها للناس للإفادة منها والتزود من نفائسها، ثم انقطعت أخبارها بعد خلافة عمر بن العزيز إلا ما يذكره القفطي العالم المؤرخ الأشهر المعروف بعلم الكتب والخزائن[3]، ومن بين المكتبات المشهورة "دار الحكمة" أعظم مكتبة أنشئها الخليفة العباسي هارون الرشيد وكانت آلاف الكتب والمجلدات ثم ازدادت اتساعاً في عهد المأمون من ترجمة كتب اليونان والفرس.

---

[1]- المرجع نفسه، ص148

[2]- سالك احمد معلوم، الفكر التربوي عند الخطيب البغدادي، مكتبة لينة للنشر والتوزيع، ط2، 1413- 1993، ص62

[3]- محمد اسعد طلس، التربية والتعليم في الاسلام، ص82

ي- المدارس:

عرفت المدارس منذ عهد قديم إلا أن أشهرها المدارس النظامية في زمن السّلاجقة، انشأها الوزير الشهير نظام الملك الطُّوسي لنشر مذهب أهل السنة والعناية بالفقه وفق المذاهب السنية الأربعة، وسار السلاجقة الذين جاؤوا من بعده على نهج نظام الملك، ويعد عمل هذا الأخير أول عمل قامت به الدولة الاسلامية لتنظيم الدراسة وترتيبها بتهيئة الاسباب وإيجاد المواد الضرورية، وإعادة الرواتب والنفقات للأساتذة والطلاب، وتثبيت بعض التقاليد التي كانت غير مستقلة قبلا مما يتعلق بأنظمة الدروس وتقاليد العلم والتأليف والقضاء على الفوضى التعليمية التي طالت سابقا[1].

وهكذا فقد اشتهرت مدارس عديدة في العالم الاسلامي في تلك الفترة كالمدرسة النّظامية ومدرسة أبي حنيفة وغيرها من مدارس متنوعة كانت سبباً في ازدهار الحركة العلمية وذلك عن طريق انشاء عدد من الموسرين لكثير من المدارس على غرارها.

وخلاصة القول أن الحضارة الاسلامية قد قطعت شوطاً كبيراً في الجانب التعليمي لأنه شعيرة من شعائر الاسلام، وانعكس ذلك على مناهج التعليم ومراكزه التي تدل على الجهود الجبارة التي قام بها المسلمون، واستمرت فعاليتها في الحركة الفكرية التربوية في بلاد الإسلام إلى أن ظهرت المدارس النظامية، وقد دفعت هذه الأخيرة بالتعليم دفعاً قويّاً نحو التقدم والتطور وظلت قائمة لسنين عديدة.

[1]- نفسه، ص110

الفصل الثاني:مَلامحُ التَّعليميَّة في كِتابِ تَعلِيمِ المتعلِّم طريق التعلم

لبرهان الدين الزرنوجي

المبحث الأول: التَّعريفُ بكتاب تعليمِ المتعلِّم طريق التعلُّم

المبحث الثاني: مَلامـحُ التّعليميَّة عـند الــزَّرنُوجي

المبحث الثالث: موازنة بين التّعليميَّة عند الزّرنُوجي والدراسة الحديثة

المبحث الأول: لمحة عن كتاب تعليم المتعلم طريق التعلم:

شهد القرن السّادس الهجري أوضاعاً مضطربة داخل الدولة الاسلامية فنجم عن ذلك انحرافات وتشويه لصورة الاسلام، فانتشر الجهل بين الناس وتفشى الفساد والفوضى في أوساط المجتمع، فرأى الإمام الزرنوجي بأنّ هذا لا يغير إلّا برسم طريق العلم والتربية الحسنة التي أوصى بها الدين الاسلامي، فألفّ كتابه المسمى بـ: "تعليمُ المتَعَلِّم طَرِيقَ التَّعَلُّم".

1.تسمية الكتاب: فـ " تعليم المتعلم طريق التعلم" هو اسم الكتاب من دون شكّ، وهذا ما أورده مترجمي المصنف من علماء الحنفية منهم القرشي في الجواهر المضيئة واللكنوي في الفوائد البهيّة[1]، إلا أن رضا عمر كحالة ذكر اسم الكتاب بلفظٍ مختلف عن غيره؛ فقال:«... برهان الدين الزرنوجي له تعليم المتعلم لتعلم طريق العلم» [2].

ولاسمه نوعان من الأدلة:

-الأول: مصادر ترجمته.

-الآخر: نسخ الكتاب الخطية.

2.نسبة الكتاب: وذلك بدليل أمور ثلاثة:

- أولها: نسبته إليه دون غيره في نسخ الكتاب الخطية.

- ثانيها : ذكر من ترجم له هذا الكتاب في عِدَادِ مصنفاته.

-ثالثها: اتفاق جماعة ممن اعتنوا بالكتاب اختصاراً وشرحاً على نسبته إلى الزرنوجي[3].

3.موضوع الكتاب: أما عن موضوع الكتاب فهو واضح وجلي من اسمه فإنه يبين الطريق الموصلة الى العلم.

---

[1]- تعليم المتعلم طريق التعلم، تح مروان قباني، 39-40.

[2]- رضا عمر كحالة، معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية ج1، ص425.

[3]- ينظر المصدر السابق، ص43-44.

بحيث أدرك الزرنوجي أهمية العلم وضرورته لأبناء عصره ليعيدهم إلى الطريق الصحيح؛ قال في مقدمة كتابه «فلما رأيت كثيراً من طُلّاب العلم في زماننا يجدُّون في العلم ولا يصلون، ومن منافعه وثمراته ـ وهي العمل به والنشر ـ يحرمون، لما أنهم أخطؤوا طريقه وتركوا شرائطه، وكل من أخطأ الطريق ضلّ، ولا ينالُ المقصود قلَّ أو جلَّ، فأردت وأحببت أن أبيّن لهم طريق التعلم على ما رأيت في الكتب وسمعت من أساتذتي أولي العلم والحكم»[1].

4.أهمية الكتاب: لكتاب تعليم المتعلم علم ثري من نفائس الأعلاق المصنّفة في بيان طريق العلم وسبيل تحصيله، قال القرشي: «كتابُ تعليم المتعلم طريق التّعلم وهو نفيسٌ مفيدٌ»[2]؛ وقال حاجّي خليفة: «نَفِيسٌ جِدّاً»[3]. كما أن الكتاب بلغت شهرته وإقبال النّاس عليه لأسباب عدّة؛ نذكر منها:

أولها: صِغَر حجمه واختصاره وبعده من الإطالة والتعمّق في عرض الأفكار، وصفه بعضهم بقوله: «رسالةٌ لطيفةٌ صغيرةُ الحجم كثيرة الفوائد»[4].

ثانيها: العنوان الذي يعبِّر عنه متوافقٌ مع مضمونه.

ثالثها: انحصاره في موضوع التربية والتعليم[5]. بحيث درس مجال التربية الإسلامية عكس علماء المسلمين الذين كانوا يؤلفون كتبهم في علوم القرآن والحديث والفقه...؛ وهذا سبب ترجمته إلى اللغة اللاتينية وغيرها من اللغات الأجنبية مما يجدر بنا القول أن مناهج التربية والتعليم الحديثة قد تأثرت بهذا الكتاب في كثير من دول العالم.

5.وصف الكتاب: وضع المؤلف كتابه في ثلاثة عشر فصلا؛ وهي كالتَّـــالي:

01 – ماهية العلم والفقه وفضله، 02 – في النية حال التّعلم، 03–في اختيار العلم والأستاذ الشريك والثبات

---

[1]– برهان الاسلام الزرنوجي، تعليم المتعلم طريق التعلم، الدار السودانية للكتب للطباعة والنشر والتوزيع، السودان– الخرطوم، ط1، 1425–2004، ص05.

[2]–القرشي محي الدين أبو عبد القادر بن ابي الوفاء، الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية ج2، ص364.

[3]– الزرنوجي، تح: مروان قباني، ص40.

[4]–ينظر محمد اسعد طلس، التربية والتعليم في الاسلام، ص177.

[5]–الأهواني محمد فؤاد، تاريخ في التربية التربية في الاسلام، ص245 .

04-في تعظيم العلم وأهله، 05 -في الجدّ والمواظبة والهمّة، 06-في بداية السّبق وقدره وترتيبه، 07-في التّوكل 08 -في وقت التحصيل، 09-في وقت الشفقة والنصيحة، 10-في الاستفادة واكتساب الأدب، 11-في الورع في حال التعلم، 12- فيما يورث الحفظ وفيما يورث النسيان، 13- فيما يجلب الرزق، وفيما يمنع، وما يزيد في العمر، وما ينقص[1].

سرد الزرنوجي هذه الفصول في مقدمة الكتاب ثم عاودها جميعها بالشرح والتفصيل كلاً في موضعه، مزج عند تناولها بأدلة من الآيات القرآنية والأحاديث النّبوية والأشعار وأقوال العلماء، كما أنه وضع في هذه الفصول الأحاديث دون الاعتناء بمخارجها ومعرفة الصّحيح منها والضّعيف. وقد فصّل في كتابه كثيراً، فقد أعطى رحمه الله تعالى أهمية كبرى للعلم وأهله مما يدل على أنه كان محِبّاً له، فعدّد جملة من الصّفات التي يجب أن يتحلى بها طُلاّب العلم ثم بعد ذلك انتقل إلى سرد الصّفات التي يجب أن يتخلى عنها طُلاب العلم في شكل مبسط وبِلُغة راقية تعكس شخصيته.

6.دواعي الدراسة: هو الإمعان في نعت طريق العلم فمعرفة طريقه مفتاح تحصيله، ومن علل المتعلمين جهلهم لطريق العلم، فهذا الكتاب وجَّه أنظار الباحثين للبحث فيه ودراسته لكونه جامع لمفترقات من البيان في وصف هذا الطريق وتجليته، وكان من دأب جماعة أهل العلم افتتاح قراءة العلوم لتدريس هذا الكتاب، فكان واحداً من كتب الدروس عند كثير من العلماء المسلمين في أصقاع البلاد الإسلامية وعند الأعاجم أيضاً، وصار من عداد كتب التربية ككتاب القابسي... وغيره. وهذا ما أكَّدَهُ بعض الدّارسين المحدثين مثل الدكتور إبراهيم سلامة حين قال : « وقع اختيارنا من بين كتب التربية التي يمكن اعتبارها كذلك طبقا لعنوانها على كتابين .....وهما للزرنوجي والقابسي»[2] .

[1]- الزرنوجي، تعليم المتعلم طريق التعلم، ص06.

[2]- الاهواني محمد فؤاد ، دراسات في التربية التربية في الاسلام، ص57

ومن هنا يمكن القول أن كتاب تعليم المتعلم كتاب قديم يعود الى القرن السّابع الهجري، فبعث في المسلمون روح الحياة في الزمن الحديث في جميع ربوع العالم الإسلامي، ولقي إقبالاً واسعاً من العلماء وطُلاب العلم عند العرب والعجم وأعدُّوه من الكتب التي حملت الفكر التَّربوي الاسلامي.

المبحث الثاني: الملامح التَّعليمية عند برهان الدين الزرنوجي:

1. حسن النية في طلب العلم:

يقول الامام الزرنوجي:« ثمّ لا بدّ له من النيّة في زمان التّعلم، إذ النية هي الأصل في جميع الأفعال»[1].

يرى الزرنوجي أن النيّة واجبة في جميع الأمور مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُواْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينِ﴾[2]، وقال عليه الصَّلاة والسّلام: «إنَّما الاعمالُ النِّيَات وإنَّما لِكُلِّ امرئٍ مَا نَوَى»[3]. فالعلم عبادة من العبادات وقُرُبَة من القُرُبَات، وبالنية تتفاضل الأعمال فإن خلصت فيه النيّة لله تعالى قُبِل وزكا ونمت وإن قصد به غير وجه الله حبط وضاع وخسرت صفقته، وربّما تفوته تلك المقاصد ولا ينالها فيخيب قصده ويضيع سعيه. قال صاحب هدية الألباب:

ثُمَّ عَلَى قَاصِدِ نَيْلِ الأَرَبِ أنْ يُحْسِنَ النِّيَّةَ قَبْلَ الطَّلَبِ

فَإِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّـيَاتِ وَحُسْنُهَا الأَسَاسُ لِلْخَيْرَاتِ

كما يشترط في النية أربع مقوّمات للمتعلم؛ هي:

- الأول: رفع الجهل عن نفسه، - الثاني: رفع الجهل عن غيره، - الثالث: حفظ العلم وصيانته من الضياع، - الرابع: العمل بالعلم.

[1]-الزرنوجي، تعليم المتعلم طريق التعلم، ص14.

[2]- سورة البينة الاية (05).

[3]-البخاري، الجامع الصحيح[كتاب بدء الوحي]، ص13

ففي هذه النقاط جمعت فيها كل جوانب العلم ورسمت الطريق المؤدية إلى ضبط نية العلم، فمن يسعى إلى تصحيح نيته للعلم فعليه أن يلتزم بهذه الضّوابط الأربعة، بحيث ينوي أن يرفع الجهل عن نفسه بمعرفة الله وحده وصفاته ثم يقوم برفع الجهل عن غيره بإرشادهم وتبصيرهم للطريق السوي وبعد ذلك ينوي حفظ العلم من الضياع كما يحفظ ماله وكل غال ونفيس عنده، ويتم بنقله إلى الأجيال اللاحقة لأنه إذا لم يلقى اهتماماً من قِبَل أهله يؤدي إلى إتلافه فينوي بأن يكون ممن يتعهدون بحفظه وجمعه ثم بعد ذلك ينوي بأن يعمل بما يتعلمه إرضاءً لله عز وجل. ويروى عن أبي إسحاق الشيرازي أنه قال: «العلم الذي لا ينتفع به صاحبه أن يكون الرجل عالِماً ولا يكون عاملاً. ثم أنشد لنفسه:

عَلِمْتَ مَا حَلَّلَ الْمَوْلَى وَحَرَّمَهُ فَاعْمَلْ بِعِلْمِكَ، إِنَّ العِلْمَ لِلْعَمَل

وقال: الجاهل بالعالم يقتدي، فإذا كان العالم لا يعمل، فالجاهل ما يرجوا من نفسه؟... نعوذ بالله من علم يكون حجة علينا»[1].

ثم أضاف الزرنوجي إلى هذا عند قوله: «ينبغي أن ينوي المتعلم بطلب العلم رضاءَ الله والدّار الآخرة، ثم إزالة الجهل عن نفسه وعن سائر الجهال، وإحياء الدين وإبقاء الاسلام...، وينوي به الشُّكر على نعمة العقل وصحة البدن، ولا ينوي به إقبال الناس إليه ولا استجلاب حطام الدنيا، والكرامة عند السلطان وغيره»[2].

يرى الزرنوجي أن من أهم الخطوات التي يتبعها طالب العلم هو النية لكونها مرتبطة بهدف المتعلم، كما يجب على المتعلم أن يجعل تعليمه في سبيل إقامة الدين وإرضاء لله تعالى بعيداً عن أغراض الدنيا ومغرياتها الذائلة من الجاه والرياسة ومباهاة الأقران وتعظيم الناس له. فالنية لازمة وخاصة في جانب التعلم لأنها ثلث العلم وهي أحد الأحاديث التي عليها مدار الاسلام، لذلك أكد السلف عليها في أعمالهم وتآليفهم وكانوا يضعون أحاديث تتعلق

[1]- الذهبي شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان، طلب العلم نصائح وفوائد وحكم، رتبه وعلق عليه خليل بن محمد العربي، دار الامام البخاري، الدوحة ـ قطر، ط1، 1431-2010، ص46.

[2]- الزرنوجي، تعليم المتعلم، ص14،15.

بالنية في بداية مصنفاتهم دليل على أنها لتنبيه الطّالب على تصحيح النّية؛ قال الإمام أبو سعيد عبد الرحمن بن مهدي: «لو صنفت كتاباً بدأت في أول كل باب منه بهذا الحديث»[1]. أي: حديث النية. وهذا احترازاً من أن الرياء والعجب.

ونستنتج من خلال ما سبق أن النية واجبة في كل الأمور ولن يصح عمل إلا بها وخاصة في العلم وأن السلف رضوان الله عليهم حثوا طلابهم في على صدق النية والإخلاص لله تعالى في الطّلب حتى يحققوا مقصودهم ويتحاشون سوء نياتهم أن يتطرق لها ذخن أو لوثة من حب أو رياء أو شهرة.

2-الجد والمواظبة وعلو الهمة:

مما لا شك فيه أن العلم لا يحصل إلا بالجد والمواظبة والهمّة العالية، وهي طرق يجب على طالب العلم أن يسلكها ليحصل على مقصوده، وهذه الصفات الثلاث مرتبطة ومتلازمة فيما بينها كلزوم الأب لولده لا يمكن لأحدهما أن يغيب على الأخر حتى يحقق المرغوب على أكمل وجه، وهذا ما ما ذكره الزرنوجي بقوله: « والركن في تحصيل الأشياء الجد والهمة العالية، فمن كانت همته حفظ جميع كتب محمد بن الحسن، واقترن بذلك الجد والمواظبة، فالظاهر أنه يحفظ أكثرها أو نصفها، فأما إذا كانت له همَّة ولم يكن له جدّ، أو كان له جد ولم تكن له همة لا يحصل له العلم إلا قليلا»[2].

ويمكن تعريف هذه الشُّروط الثلاث كما يلي:

-الجِد ونعني به: الإجتهاد والاهتمام بالأمر[3]والمبالغة في الوصول إلى المقصود.

-وأمّا المواظبة فنقصد بها: المداومة والمثابرة في التعلم .

---

[1]-النووي، آداب العالم والمتعلم والمفتي- والمستفتي-فضل طالب العلم، ص07.

[2]- السابق، ص 34

[3]- احمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة مجلد1، عالم الكتب نشر وتوزيع وطباعة، القاهرة، ط1، 1429-2008، ص349.

-والهمة العالية فنقصد بها: استصغار ما دون النهاية من معالي الأمور[1]، فصاحبها سريع الوصول والظفر لا يقدر على المهلة ولا يتمالك صبره.

قال الإمام الزرنوجي: قيل:

بِجِـدّ لَا بِجَـدّ كُلُّ مَجْـــد فَهَل جَدّ بِلاَ جِدّ بِمُجْد

فَكَمْ مِنْ عَبْد يَقُومُ مَقَام حُرّ وَكَم حُرّ يَقُومُ مَقَام عَبْد

وقيل: من طلب شيئا وجَدَّ وجد، ومن قرع الباب ولجّ ولج.

وقيل: بقدر ما تتعـنَّى تدرك ما تتمــنَّى[2].

ذكر رحمه الله تعالى بيتين متعلقين في هذا الجانب ومعناهما: أن الجد الأول تعني الاجتهاد والثانية تعني اليسر في العيش، أي هل يسر من العيش بدون اجتهاد تجدي لإحراز المجد. ثم كم من عبد رقيق يقوم مقام الأحرار والعكس. ثم أعقب بعدهما مقولتان يدعوا فيها إلى الجد وأن كلما عظمت المحن في طلب الأشياء يصبح إدراكها أكثر سهولة ويسر فهي لا تأتي عن طريق الأماني؛ وكذلك العلم لا بُدّ لملتمسه أن يُقْبل على ما يطلبه إقبالا بقوة وحزم وعزم لأنه لا ينفع مع هذا الشيء إلّا الأخذ بقُوة حتى يكون الإعطاء بقُوة، فمن أخذه غير ذلك كان إعطاؤه رديئاً وسيئاً؛ قال ربّنا سبحانه: ﴿ يَا يَحْيَ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّة ﴾[3] "بِقُوَّة": أي بِجِدّ واجتهاد، قاله مجاهد[4].

وقد قال بعضهم على هذا المنوال:

أُعْكُفْ عَلَى الكُتْبِ وادرس تَحُـــزْ فَخَارَ النُّبـــوَّةِ

---

[1]- محمد احمد اسماعيل المقدم، علو الهمة، دار الايمان للطباعة والنشر والتوزيع، اسكندرية، ص07.

[2]- مروان قباني، تعليم المتعلم، ص88.

[3]-سورة مريم، الاية(12)

[4]- القرطبي ابو عبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر، الجامع لاحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن ج13، تح: عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط1، 1427-2006، ص423.

فَاللهُ قَـــــــالَ لِ"يَحْـــــيَ: خُـــذَ الْكِـــتَابَ بِـــقُوَّة"

وإذا أصابه الفتور فعليه أن ينهض بأسرع وقت حتى لا يطول عليه الأمر فيصعب عليه النهوض بعد ذلك، فيرضى بحاله بسبب المداومة فيمَلُّ، والمِلَل حذّر منه العلماء بقولهم: "ولِلمَـــلاَل فطلِّق"، وقد يصاب أيضا بالضّجر أثناء التعلم؛ وقال أحدهم في النّهي عن ذلك:

اطْلُبِ العِلْمَ وَلَا تَضْجَر من مَطْلَب فَـــآفةُ الـطّالب ان يضجَرَا

أمَـا تَـرَى في الحَـــبْلَ بِتَكْرارِهِ فِي الصَّخرة الـصَّماءِ قد اثـرَا

ويبعد طالب العلم عنه الضّجر بالصبر والمصابرة لأن بلوغ الهدف لا يكون إلاّ بتحمّل المشاق والصّعوبات وليعلم بأن العلم ينال بهذا؛ قال مسلم في صحيحه قال يحي بن أبي كثير: «لا يُنالُ العلمُ بِرَاحةِ الجِسْم»[1]. ويروى أن رجلاً من طلبة العلم كان مستلقياً يريد أن يخلد للراحة فتذكر هذه المقولة فقام فَزِعاً يقلّب في دفتره.

ثم قال الإمام الزرنوجي: «وَلا بُدَّ لِطَالِب العِلْم مِن المواظبة على الدرس»[2].

فالمواظبة على الدروس تزيد طالب العلم في الحرص والصّدق في النية، ويكون بتعويد النفس على التبكير والحضور الدّؤوب فلا يتغيب ولا يتأخر عنها ما استطاع إلى ذلك سبيلا وإن كان ولا بُدّ فإنه يستدرك ما فاته، وقد كان السلف يجدُّون ويُداومون على تلقي العلم مهما تقدمت أعمارهم ومرتبتهم في العلم، ومن ذلك: قول سفيان الثوري: «لا نزال نتعلم ما وجدنا من يعلمنا»[3]. ذاقوا حلاوة العلم فأصبحوا في حاجة إليه كحاجتهم إلى الماء البارد في عِزّ الصّيف، فلا همَّ لهم إلا أن يجتهدوا في تحصيل العلم وتعليمه للناس.

[1]- ابن القيم الجوزية ابي عبد الله بن أبي بكر بن أيوب، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والارادة مجلد الأول، تح: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ص300 .

[2]- مروان قباني، تعليم المتعلم، ص90.

[3]- حمد بن إبراهيم العثمان، النُّبذ في طلب العلم، ص229.

ثم قال الزرنوجي: «فلا بُدّ لطالب العلم من الهمّة العالية في العمل، فإن المرء يطير بهمّته كالطّير يطير بجناحيه »[1]. فالهمّة العالية تحتاج منّا الجود بالغالي والنفيس في سبيل تحصيل غايته، وتحقيق بغيته، لأنه يعلم المكاره منوطة بالمكاره وأن المصالح والخيرات واللذات والكمالات كلها لا تنال إلا بحظٍّ من المشقة ولا يعبر إليها إلا على جسر من التَّعب؛ قال الشاعر:

بَصُرتَ بِالراحَةِ الكُبْرى فَلَم ترَهَا تُنالُ إِلَّا عَلَى جِسْر من التَّعَب

وقال آخر:

فَقُل لِمُرجّي مَعَالي الأمُــور بِغَيرِ اجْتِهادٍ رجوتَ المُحَـــالا

فعلى طالب العلم ألا يرضى باليسير من العلم مع إمكان الكثير، وألا يشتغل بأمور تافهة لا قيمة لها، ثم لا يُسوِّفُ فيؤخر واجبات يومه لغده، ولا يغفل لاستحضار الدّروس، ولا يضيع وقته. ثم لا يرضى بالدّون ولا يقنع ما بين النّجوم وإنما هو في سعي لاستكمال ما فاته، واقتناص ما عزب عنه، يأخذ نفسه بالجد، ولا أحد أولى به منه، هو في ظمإ نهاره، في سهر ليله، ونصب عينيه غاية يرمي اليه بروحه كلها، ويرمي بطاقة النفس جميعها، ومع هذا الجهد الجهيد أن يرى نفسه مقصراً وعن طريق الصواب خارجا ومنحازا عنها .

ويصوّر لنا ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ حال أصحاب الهمم العالية وحال اصحاب الهمم السفلية في قوله: «وصَاحِبُ الهِمَّةِ العَالِيَةِ أمانيه حائمة حَوْلَ العِلمِ والإيمانِ، والعَملِ الذي يُقرِّبهُ الى الله، ويُدنِيهِ مِن جِوَارِهِ، فأماني هذا إيمانٌ ونُورٌ وحِكمةٌ، وأماني اولئك خِدَعٌ وغُرُورٌ»[2]. فاشتغال الإنسان بما يأخذ فكره عن العلم يشتت همته ويضعفها؛ وهناك خطوات يجب أن يتحلى بها المرء حتى تعلوا وهي:

[1]- الزرنوجي، تعليم المتعلم طريق التعلم، ص40 .

[2]- محمد حسين يعقوب، منطلقات طالب العلم، المكتبة الاسلامية، القاهرة، ط2، 1422-2002، ص114.

ا- طلب المعالي في الأمور: فصاحب الهمم العالية لا يرضى بالدّنية، ولا يقنع بسفاسف الأمور، فتتحدئ همته ـ بحول الله وقوته ـ ما يراه غير مستحيلاً، وينجر ما ينوء به العصبة أولوا القوة، ويقتحم الصّعاب والأهوال، فلا يكون في ذلك إفراط في الحقيقة لأن الهمم العالية تحتاج طموحات وثّابة دائمة الترقي والصعود، لا تعرف الدّعة والسكون.

فَكُـن رَجُلاً رِجْـلُهُ فِي الثَّـرَى وَهَــامَةُ هِمَّـتِهِ فِي الثُّــرَيَـا

والهمّة فطرية في الإنسان إذ أنها: مولودة مع الآدمي، وإنما تقصر بعض الهمم في بعض الأوقات، فإذا استحثت سارت، فمتى رأت في صاحبها عجزا أو كسلا تقاعست وكسلت[1].

وكما أشار ابنُ الجَوْزِيِّ هو أيضا إلى أن الطفل قد رزقه الله أطوار طفولته يتعلق بمعالي الأمور؛ قــال: «غَير انَّ لِلطَّالِب المرزُوقِ علامةً، وهو أن يكون مرزوقا علوّ الهمّة، وهذه الهمّة تولد مع الطفل، فتراه من زمن طفولته يطلب معالي الأمور كما يروى أنه كان لعبد المطلب مفرش في الحجر، فكان النبي عليه السلام يأتي وهو طفل فيجلس عليه فيقول عبد المطلب: إن لابني هذا شأناً»[2].

فلا بُدّ ان تكون لديه الأنفة وعزة النفس ونتعلق بمعالي الامور هكذا أمرنا الاسلام أن نكون، وأن نبتعد عن الدنايا وعن الأمور الحقيرة لأنها تعترضنا في تحقيق أهدافنا وتقعدنا عن إدراك الأمور العظائم، وقد أوصانا رسول الله عليه وسلم أن نتعلق بمعالي الأمور وأن نبتعد عن صغائر الأمور وسفاسها .

ومما يروى عن السلف الصالح أن الإمام مالك جاءه طالب علم من الأندلس، وبينما هم في حلقة العلم في المسجد إذ سمعوا رجلا من خارج المسجد ينادي: قد جاء الفيل، فخرج الطُّلاب كلهم لرؤية الفيل إلا ذلك الطالب فقال له الإمام مالك رحمه الله تعالى: لِمَ لم تخرج مع القوم لرؤية الفيل فأجابه الطّالب بإجابة تدل على

[1]- حسن بن علي بن حسن الحجاجي، سلسلة التربية الاسلامية6 ـ الفكر التربوي عند ابن رجب الحنبلي ـ، دار الاندلس الخضراء للنشر والتوزيع، جدة – المملكة العربية السعودية، ط1، 1417-1996، ص190.

[2]- المرجع السابق، ص 116.

تعلقه بعظائم الأمور وبعده عن سفاسفها قال بإمام جئت من أرض الأندلس لأطلب العلم والحديث على يديك وما جئت لأرى الفيل. ومع أن من طبيعة نفس الانسان أنها إذا وصف لها شيء اشتاقت إلى رؤيته، ولكن ذلك الطالب لم تكن نفسه تتعلق إلا بطلب العلم وبهذه الهمّة العالية رزقه الله علما خَوَّلَه لأن يصبح فقيه الاندلس.

ب-الحرص على الطلب: وأعظم ما يكون له الحرص عليه هو طلب العلم. قال الامام النووي في وصيته طالب العلم: «ينبغي أن يكون حريصاً على التعلم، مواظباً عليه في جميع أوقاته، ليلاً ونهاراً، وسفراً وحضراً، ولا يذهب من أوقاته شيئاً في غير العلم إلا بقدر الضرورة لأكل ونوم قدراً لا بد له منه ونحوهما، كاستراحة يسيرة لإزالة الملل، وشبه ذلك من الضروريات، وليس بعاقل من أمكنة درجة ورثة الانبياء ثم فوتها»[1]. فالحرص والمواظبة على التعلم في جميع الأوقات ليلاً او نهاراً يورث الهمَّة والعزيمة في تدارك المصاعب.

والسلف الصالح يضربون لنا أروع الأمثلة في الحرص ومن ذلك قول الحميدي رحمه الله تعالى: «خَرجتُ مع الشّافعي إلى مصر، وكان هو ساكناً في العلوّ، ونحن في الأواسطِ، وربما خرجت في الليل فأرى المصباحَ فأصيحُ بالغلامِ فَيَسمعُ صَوْتِي، فَيَقُولُ: بحقِّي عليه ارق فارقى فاذا هو قرطاسٌ ودواةٌ، فأقول: مَهْ يا ابا عبد الله، فيقول: تفكرت في معنى حديثٍ أو في مسألةٍ، فخفت أن يذهب علي فأمرت بالمصباح وكتبته[2].فقد كان الامام الشافعي حريصاً على العلم فنال منه ما كان جبلا راسخاً وطوداً شامخاً.

وقد بلغ حرصهم على الطلب أن أحدهم كان ينزل به الهمُّ والحزن، ويصيبه المرض إذا فاته شيء من العلم فكان عظيما جدا، فالمتأمل في تنافسهم في العلم يظن أنهم على إخوانهم حاقدين ولهم حاسدين، وما كانوا في حقيقة الأمر كذلك، بل المنافسة المشروعة والسعي الجميل.

ج-بذل الغالي والنفيس:

---

[1]- نفسه، ص116.

[2]- أبو عبد الله محمد بن سعيد رسلان، مراتب طلب العلم وطرق تحصيله، دار أضواء السّلف المصرية للنشر والتوزيع ، ص60.

العلم أنفس ما أنفقت لجمعه الرغائب وخير ما كابدت من أجله المصاعب وهو التجارة الرابحة التي لا خسارة فيها، فكلما أنفِقَ منه ازداد ونما، ومن بخل به نقص وانزوى، فالإنفاق والبذل الواسع في سبيله سبب للسعادة فيه وأنَّ من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل، وكما قال بعضهم:

يُريدون إدراكَ المعَالي رَخِيصَةً ولا بُدَّ دُون الشَّهْد من إبار النَّحلِ

وَمَن يَصْطَبِرْ لِلعلْم يَظفر بِنيلِهِ وَمَن يَخْطُبِ الحسْناءَ يَصبِرْ عَلَى البَذْلِ[1]

و يتضح لنا مما سبق أن أساس بلوغ معالي الأمور في العلم وغيره لا يكون إلا بالهمَّة العالية ونستنبط ذلك من علماء سلف هذه الأمة ـ رضي الله عنهم ـ الذين كانوا ذووا همم في طلب العلم عالية، وأصحاب قلوب في الدعة عاطلة، وفي الجد التشمير حالية، وآثارهم في ذلك ناطقة بأحوالهم، مخبرة بدفائن قلوبهم.

3- في وقت التحصيل والاستفادة:

قال الإمام الزرنوجي في كتابه: «وقت التعلم من المهد إلى اللحد. دخل حسن بن زياد في التفقه وهو إبن ثمانين سنة، ولم يبت على الفراش أربعين سنة فأفتى بعد ذلك أربعين سنة.

وأفضل الأوقات شَرْخُ الشّباب، ووقت السحر، وما بين العشائين. وينبغي ان يستغرق جميع أوقاته، فإذا ملَّ من علم يشتغل بعلم آخر»[2].

هذا الفصل يتحدث فيه المؤلف عن الزمن الذي يطلب فيه العلم، استهله بمقولة مشهورة تحث الطلاب على الاستمرارية في التعلم إلى أن يموت الانسان فالعمر كله يشتغل بالعلم من المهد الى اللحد. ثم أكد هذه المقولة لشيخ من الشيوخ الحنفية أنه طلب العلم بعدما كبر في السن، فهذا ليس مانعاً من التماس العلم لكن غالبا ما

[1]- عبد القادر بن سيدي عبد العزيز بن عمر، الفوائد الغريبة المدهشة النّادرة ألف وجبة روحية بألف فائدة متنوعة، دار البلبالين للنشر والتوزيع، أدرار-الجزائر، ط2، 1436-2015، ص223.

[2]-الزرنوجي، تعليم المتعلم طريق التعلم، ص66.

تكون هذه المرحلة مصحوبة ببعض العوائق إلا أن من أتيحت له الفرصة للطّلب فمن الأحسن استغلالها، فصحابة النبي صلى الله عليه وسلم تلقوا العلم عليه كباراً.

ثم قال إن أفضل أوقات التّعلم في أول الشباب فأحسن ما يكون فيه أخذ العلم أن يباشر المتعلم أول تعلمه ابتداءً بالقرآن الكريم لأنه الأصل الأصيل اغتناماً لهذه المرحلة لأن التعليم في الصّغر كالنَّقش على الحجر. وقال الحسن بن علي: «تَعلَّمُوا العلم، فإنكم إن تَكُونُوا صِغَار قَومٍ تكونُوا كِبارَهم غداً، فمن لم يحفظ فليكتب »[1]. فزمن الصغر يكون فيه النشاط والفراغ وعدم الانشغال بمتطلبات الحياة، والتفكير بالدّنيا وشواغلها التي لا تنتهي بحيث التفرغ لطلب العلم وتكون القوة الاستيعابية في منتهى كمالها وتمامها. وينشد أبو عبد الله نفطويه رحمه الله تعالى أبياتاً يحث فيها بالتّشديد على التّعلم في الصّغر:

أَرَانِي أنسَى مَا تَعلَّمتُ فِي الكِبَر وَلَستُ بناسٍ مَا تَعلَّمتُ فِي الصِّغَر

وَمَا العِلمُ إلَّا بِالتَّعلُّم فِي الصِّبَا وَمَا الحِلْم إلاَّ بِالتَّحَلُّمِ فِي الكِبَر

وَلوْ فَلَقَ القَلْبُ المعلمَ فِي الصِّبَا لأَلفي فيه العلمَ كَالنّقشِ عَلى الحَجَر

وَمَا العِلمُ بعد الشّيب إلا تَعسُّف إذا كَلَّ قَلب المرءِ والسَّمع والبَصَر

وَمَا المرءُ إلا اثنان عقلٌ ومنطِـقٌ فَمَن فَاتَـهُ هذا وهذا فقد دمـــر[2]

وذكر ابن وهب، عن موسى بن عُلَيِّ بن رباح، عن أبيه أن لقمان الحكيم قال لابنه: «يا بُني، ابتغ العلم صغيراً، فإن ابتغاء العلم يشق على الكبير »[3].

---

[1]- أبو عبد الله محمد بن سعيد رسلان، مراتب العلم وطرقه تحصيله، ص29.

[2]- محمد بن عبد العزيز المانع، ثلاث رسائل ارشاد الطلاب . اقامة الدليل والبرهان . الاجوبة الحميدة، منشورات المكتب الاسلامي بدمشق، ط2، 1383هـ، ص12.

[3]- أبو عمر يوسف بن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله ج1، تح: أبي الاشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، ص369.

كانت هذه المقولة مثالاً واضحاً على أهمية تعليم الولدان وهم صغار لتحملهم وعدم انشغالهم بأمور الحياة.

ثم عيّن الامام وقتين لا يقلان أهمية عن سابقهما وهما وقت السّحر وما بين العشائين، وهذان الوقتان أفضل للتحصيل وأنفعه، وقد كان السلف الصالح يبدؤون من العشاء فربّما لم يقوموا حتى يسمعوا الآذان. يقول الإمام الشافعي في أهمية السّمر في العلم:

سَهَرِي لِتَنْقِيحِ العُلُومِ أَلَذُّ لِي مِن وَصْلِ غَانِية وَطِيب عِنَاقِ

وَصَرِيرِ أَقْلاَمِي عَلَى صَفحَاتِهَا أحْـلَى مِن الـدَّوْكَاءِ وَالعُـشَّاقِ

وَأَلَـذُّ مِن نَقْرِ الـفَتَاةِ لِدُفِّهَـا نَقْرِي لأُلْقِي الرَّمْل عَن أَوْرَاقِـي

وَتَمَايُلِي طَـرَباً لِحَلِّ عَوِيـصَة فِي الدَّرْسِ أشْهَى مِن مُدَامَة سَاقِ

وَأَبِيتُ سَهْرَانَ الدُّجَى وَتَبِيتُه نَوْماً وَتَبْـغِي فِي ذَاكَ لِحَـاقِـي[1]

فوقت التحصيل العمر كله دون توقف، قال عبد الله البغوي: «سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: أنا أطلب العلم إلى أن أدخل القبر»[2]. هؤلاء وغيرهم عرفوا قيمة العلم فلم يحددوا له مكان ولا زمان فبلغوا السيادة والجاه في الدنيا والآخرة، وعلى المتعلم التّنويع في العلوم أثناء التحصيل حتى لا يصيبه السأم والملل ليستفيد ويصل إلى المرغوب فيه، وطريق الاستفادة تكون بالتّدوين؛ وقد أكد الزرنوجي أهميتها فقال: «من حفظ فَرَّ وما كتب قَرَّ»[3]. فالكتابة تساعد المتعلم على حفظ المعلومات واسترجاعها وتثبيتها في ذهنه عندما يريد قراءة ما كتبه وان يجود خطّه ولا يقرمطه حتى لايصعب عليه القراءة ان احتاج المذاكرة. وكما نجد الزرنوجي يأمر طالب العلم بكتابة العلوم التي يدرسها ولكن بشرط أن لا يكتب إلا بعد الفهم، لأن المتعلم إذا كتب شيئاً لم يفهمه فإنه لم يستفيد

[1]- الشافعي، محمد بن إدريس، ديوان الشافعي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي، بيروت- لبنان، ط3، 1426-2005، ص87.

[2]- نفسه، ص 229.

[3]- الزرنوجي، تعليم المتعلم طريق التعلم، ص73.

منه ولو رجع إليه عدة مرات لذا فعليه أن يستصحب معه دفتراً ومحبرةً ليكتب ما يسمعه، إذاً فالكتابة ضرورية لا يستغنى عنها فهي تحفظ العلم من الضياع وأن ذاكرة الإنسان معرضة للنسيان فيستحيل عليه أن يحفظ كل المعلومات الكثيرة لمدة طويلة، لذا فالكتابة تساعد المتعلم للاستذكار ونقل العلم من جيل إلى جيل آخر للانتفاع بها . والحكمة تقول: "العلم صيد والكتابة قيد".

وخلاصة القول أن زمن التماس العلم هو العمر كله إلا أن مرحلة الشباب من أهم المراحل التي يجب على الإنسان أن يغتنها، لأن المعلومات ترسخ في ذهن الصغير أكثر منها عند الكبير، فهو يستطيع أن يتعلم باستمرار ويسترجع العلم ويغترفه، وكما أن وقت السحر من أفضل أوقات التحصيل بحيث يعمّ السكون والهدوء فيه فيتيح للذاكرة الاستيعاب والحفظ مما استفاده الطّالب من كتابته على شيخه .

4- في الورع والحفظ حال التعلم:

قال الزرنوجي: «روى بعضهم حديثا في هذا الباب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: من لم يتورع في تعلمه ابتلاه الله تعالى بأحد بثلاثة اشياء: إمّا أن يميته في شبابه، أو يوقعه في الرساتيق، أو يبتليه بخدمة السلطان»[1].

ويُعرّف الورع بأنه: «اتقاء ما يكون سبباً للذم والعذاب، وأداء الواجب المطلوب»[2]. فإذا أراد العبد أن يتقي أسباب الذّم ويؤدي واجباته المطلوبة منه فعليه مجافاة طرق الشر.

عنى المؤلف في كلامه أن كل من دنس علمه بمغريات الدنيا فإنه يموت شاباً، أو يبتلى بخدمة السلطان وصحبته أو أن يشتغل بأمور الدنيا فتطبع على قلبه فلا ينال حظه من العلم. وكما يرى بأن أئمة العلم قد وفقوا للعلم بسبب ورعهم فخلّدت أسماؤهم وأصبحوا يقتدى بفعالهم، فالورع عند طالب العلم يساعده في الانتفاع بالعلم،

[1]- نفسه، ص76.

[2]- ماجد عرسان الكيلاني، الفكر التربوي عند ابن تيمية، مكتبة دار التراث، ط2، 1407-1986، ص165.

وييسر له في التعلم، ويكسبه فوائد كثيرة؛ قال: « فكلما كان طالبُ العلم أورَعَ كان علمُهُ أنفع، والتعلّم له أيسر وفوائِدُهُ أكثر»[1].

ومن الأمور التي نصح بها الامام للوصول إلى درجة الورع الكامل؛ بالتحلّي بـ:

-مجاورة الصّلحاء -الجلوس باستقبال القبلة-اغتنام دعوة أهل الخير-الإكثار من الصلاة- عدم التّهاون بالآداب والسنن.

وأن يتحرز:

- الشِّبع وأكل السّوق والغيبة - احتراز عن دعوة المظلومين - وكثرة النوم -كثرة الكلام - اجتناب اهل الفساد والمعاصي والتعطيل.

وهناك أمور أخرى يجب أن يأخذ بها لنفسه وهي التّقوى فإنه ما استعين على العلم بمثل تقوى الله والورع وأكل الحلال واجتناب المعاصي وهجر الذّنوب وطرح الحول والقوة وكثرة الإنابة وإدامة الذكر. لأن ربنا يقول: ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ ﴾[2].

وينبغي لطالب العلم أن يكون من الورع بمحل رفيع في جميع شأنه؛ لأن الورع ينير النّفس ويهيّئها لتقبل الخير ولاسيما في العلم، وأن يترك ما يعنيه من كلام وسمع وفكر وجميع الحركات الظّاهرة والباطنة، وأن: « يتحرَّى الحلال في طعامِهِ وشرابِهِ ولباسِهِ ومسكنِهِ وجميعِ ما يحتاجُ إليه هو وعيالُهُ ليستنيرَ قلبُهُ، ويصلِحِ لقبولِ العلمِ ونورِهِ والنفعِ بِهِ

[1]- الزرنوجي، تعليم المتعلم، ص76.

[2]- سورة البقرة الاية(82).

ولا يقنعُ لنفسهِ بظاهرِ الحلِّ شرعاً مهما أمكنَهُ التورُّعُ ولم تُلجِئهُ حاجةٌ، أو يجعل حظَّه الجوازَ، بل يطلبُ الرتبةَ العاليةَ»[1].

وذكر ابن عبد البر في كتابه جامع بيان العلم وفضله أبياتا لابن المبارك ينصح فيها طُلاب العلم قائلا:

يَا طَالبَ العِلْمِ بَادِرِ الوَرَعَا وَهَاجِرِ النّومَ وَاهْجُرِ الشِّبَعا

يَا أيّهَا النّــاسُ أَنتُم عُشب يَحصُدُهُ الموتُ كُلَّما طَلَعَا

لاَ يَحصُدُ المرءُ عِندَ فَاقَتِهِ إلَّا الذِي في حَيَاتِهِ زَرَعَــا[2]

وأمّا بالنسبة للحفظ فقال عنه الزرنوجي: «وأقوى أسباب الحفظ: الجد والمواظبة وتقليل الغداء وصلاة الليل، وقراءة القرآن من أسباب الحفظ. قيل: ليس شيء ازيد للحفظ من قراءة القرآن نظراً»[3].

أشار المؤلف إلى في مستهل كلامه إلى الأسباب تساعد في الحفظ، وهو عملية ملازمة في التعلم فما نتعلمه يجب أن نحفظه وعلى قدر احتفاظنا به على قدر ما تحقق هذه العملية أغراضها[4].

وقد وصف المؤلف لطلاّب العلم نوعين من الأسباب التي تعين على الحفظ وهما:

1-الأسباب الروحية: وتمثلت في الجد والمواظبة وصلاة الليل وقراءة القرآن لما له من البركة فمن استكثر من حفظ القرآن فإنه تقوى ذاكرته وتنشط. وكما أن قراءته نظراً أفضل من قراءته عن ظهر القلب لما فيه من زيادة الحفظ ـ حسب ما ذكر المؤلف ـ، وتتمتع العين فيه وتقف إلى أمر الله ونواهيه، ثم أن النَّاظر إلى المصحف عبادة من العبادات.

---

[1]- ابن جماعة بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله الكناني الشافعي، تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، اعتنى به محمد بن مهدي العجمي، دار البشائر الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط3، 1433-2012، ص91.

[2]- ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ص668.

[3]-الزرنوجي، تعليم المتعلم طريق التعلم، ص81.

[4]- مروان قباني، تعليم المتعلم طريق التعلم، ص38.

ومن الأسباب التي تعين أيضا على الحفظ بالتّخلي عن المعاصي؛ قال وكيع : «استعينوا على الحفظ بترك المعصية»[1]. وسبيل العلم الذي لا سبيل له غير الإقلاع عن المعاصي والذنوب والإقبال على الله بالكلية، ثم إن العلم نور يقذفه الله في القلب، والمعصية تطفئ ذلك النّور. ومن ذلك مما يروى عن الإمام الشافعي أنه كان حجة في الحفظ فكان إذا أراد أن يقرأ في الكتاب وضع يده على صفحة وقرأ من صفحة أخرى لئلا يختلط عليه الحفظ، ومرة وقع بصره على حرام فأشْكَلَ عليه الحفظ، فشكا ذلك إلى شيخه، فنصحه شيخه بترك المعاصي فتذكر الحادثة التي وقعت له فأنشد بيتين يقول فيهما:

شَكوتُ إلى وكيعٍ سُوءَ حِفظي فأرشَدني الى تركِ المعَـــاصِي

وأخـبَرني بـــأنَّ العِلمَ نُـــورٌ وَنُورُ اللهِ لَا يُهْدَى لِعَـــاصِي[2]

2-الأسباب الصّحية: وتمحور هذا الجانب في أصناف الأغذية التي تعين على الحفظ، ومنها عدم الإكثار الغذاء لأنه يؤدي إلى خمول البدن والذهن؛ وقد قيل: البِطْنة تُذهِبُ الفِطْنة. ويحثّ الزّرنوجي طالب العلم في تناول نوع من الأطعمة كشرب العسل وأكل الكندر مع السّكر وأكل إحدى وعشرين زبيبة حمراء كل يوم على الريق...، وأكل ما يقلل البلغم والرّطوبات يزيد في الحفظ.

وأما عن أوقات وأماكن الحفظ فقد حرص أهل العلم على انتقاء الأوقات والأماكن التي تساعدهم في الطلب فكانت أفضل أوقات الحفظ: السَّحَر والبُكور ووسط النّهار ووقت الجوع ووقت اجتماع الهمّ لا تفرق القلب. أفضل المواضع: الغُرف والأماكن العالية والبعيدة عن ضجيج الأصوات، وأيضا الأماكن التي بها خضرة وماء لأنها تشغل القلب[3]وتفقد الذهن تركيزه وانتباهه، فيصعب على الذاكرة استيعاب ما يقرأ عليها.

---

[1]- حمد بن إبراهيم العثمان، النُّبَذ في آداب طلب العلم، ص14.

[2]- الشافعي محمد بن ادريس، ديوان الشافعي، ص70.

[3]- أبو هلال العسكري وآخرون، الجامع في الحث على الحفظ، تح: أبو عبد الله محمود بن محمد الحداد، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط1، 1412، ص255.

ولقد اجتهد أئمة العلم في البحث في الأشياء التي تعين على الحفظ والأشياء التي تورث النسيان لاجتنبها ومعرفة عللها، ومن ذلك ما جمعه الشيخ علي الدين السَّخـاوي في أبيات له؛ فقـال:

تَوقَّى خِصالاً خَوفَ نِسْيانِ مَا مَضَى قِراءةُ أَلـوَاحِ القُبُـورِ تديمها

وَأكلُكَ لِلتُّفاحِ مَا كَانَ حَامِضا وَكُـزْبَرَةٍ خَـضرا فيها سُمـومُـها

وَحِجامةُ القفَا فَكُن مُجتنِباً لَهَا كَذلك الهمُّ منها وهو عظيمها

وَمِنْ ذَاك بَولٌ في الماء راكداً كَذَالِكَ نبذ القمل من قبل قتلها

ولا تنظرِ المصْلُوب في حَالِ صُلبِهِ وَأكـلُكَ سُـؤر الفار وهو تميمها[1]

احتوت هذه الأبيات على بعض الأسباب التي تعيق المتعلمين على الحفظ، وكان من بينها ما يتعلق بالسّلوكات كقراءة ألواح القبور وحجامة القفا والبول في الماء ونبذ القمل، سبب جلبها للنسيان هو أنها تشغل القلب وتترك آثار نفسية سيئة على الشّخص، وأمّا ما يتعلق بالأطعمة كأكل التّفاح والأطعمة الحامضة والكُزبرة وعلّة النّهي عن أكل هذه المأكولات اجتناباً للرّطوبات والبلغم فهي تصدُّ عن سبيل الحفظ.

المبحث الثالث: موازنة بين الزرنوجي والدراسات الحديثة في مجال التعليمية:

سأقوم في هذا الجانب بإجراء موازنة بين بعض الآراء التّعليمية الحديثة بآراء برهان الدين الزرنوجي، وسنختار "التّكرار والفهم" عيّنتين للدراسة.

1.التّكرار في اللغة:

جاء في كتاب العين «الكرّ هو الحبل الغليظ وهو حبل يصعد به إلى النخل... والكر الرجوع عليه، ومنه

[1]- عبد القادر بن الشيخ سيدي عبد العزيز، الفوائد الغريبة المدهشة النّادرة، ص99.

التكرار»[1].

أمّا في الاصطلاح: فيعرفه ابن الأثير بقوله: «فإنّه دلالة للفظ على المعنى مُردَّداً، كقولك لمن تستدعيه: أسرِعْ أسرِعْ، فإنّ المعنى مردّد، والمعنى واحد»[2].

يعد التكرار أحد العوامل الأساسية التي تقوم عليها عملية التَّعلم، ولذلك فإنّ تراثنا قد تطرق إليه وعدّه من أساليب الفصاحة في اللغة العربية؛ وكما أن التربية الاسلاميّة تعتبر التَّكرار أسلوباً تعليميّاً فعّال تجلّى في تكرار الآيات والقصص في القرآن، فلم يوضع « لعبثٍ وإنما لحِكْمة أو عِبْرة تحتاجُ مِنّا التَّأمُّلَ والتَّدبُّرَ، وقد استعمل جَرْياً على عادة العرب في كلامهم»[3]. وهو من ضمن الوسائل التّعليمية التي دأب عليها السّلف الصالح في تعليمهم.

ولقد أشار الزرنوجي إلى هذا ناصحاً طلّاب العلم بالأخذ به قائلاً: «وينبغي لطالبِ العلم أن يعد ويُقدِّر لنفسه تقديراً في التَّكرار فإنه لا يستقر قلبه حتى يبلغ ذلك المبلغ، يُكرّر سبق الأمس خمس مرات، وسبق اليوم الذي قبل الأمس أربع مرات، والذي قبله ثلاث مرات، والذي قبله اثنتين، والذي قبله مرةً واحدةً، فهذا أدعى للحفظ، وينبغي ألا يعتاد المخافتة في التَّكرار، لأنّ الدرس والتّكرار ينبغي أن يكونا بقُوة ونشاط، وألّا يجهد نفسه كَيْلاَ ينقطع عن التَّكرار فخير الأمور أوسطه»[4].

ومن النّقاط التي يمكن أن نلمحها من مقولة الزرنوجي هي أنّ التَّكرار: مراجعة وإعادة المعلومة التي سبق تناولها، وتثبيت للحفظ في الذهن، كما يعد الوسيلة الأنجح للفهم مادام في أوقات متقاربة وهو سلاح مقاوم للنسيان يمكّن من استرجاع المعلومة تامّة حين الحاجة إليها واستنباط أفكار جديدة؛ وطبيعة هذا التَّكرار أن يكون بصوت

[1]- الفراهدي الخليل بن أحمد، كتاب العين مجلد الرابع، ص17.

[2]- ابن الأثير ضياء الدين نصر الله بن أبي الكرم، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ج2، تعليق: د: أحمد الحوفي وبدوى طبانه، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة – مصر، ط2، ص345.

[3]- خدير المغيلي، محاضرات نظريات التعلم في ضوء الدّلالات التعليمية للخطاب القرآني، ص04.

[4]- الزرنوجي، تعليم المتعلم طريق التعلم، ص60.

مرتفع لأن الجهر يحضُر معه القلب فلا يذهب العقل إلى شيء آخر، دونما إجهاد وتكلف حتى لا يتسبب له في الملل فيتركه.

أما بالنسبة للدراسات الحديثة فإنها تعد التّكرار من الدّعائم الصَّلبة في العملية التعليمية ومبدأ من مبادئ علم النفس التّربوي الحديث، من حيث أنه استمرار لفعل العلاقة بين المثير والاستجابة، وهي العلاقة التي تتحول إلى عادة عند المتعلم، مما يجعل الذاكرة قادرة على استيعاب المفاهيم في سياقات متباينة[1].

فعندما تستوعب الذاكرة المعلومة عن طريق التَّكرار المتواصل تصبحُ عادةً راسخةً عند المتعلم، وليتحقق التَّكرار بصورة واضحة لا بُدّ أن يكون هادفاً وتوجيهيّاً وِفْق خطة بيداغوجية وتعليميّة معينة، لأن مجرّد التّكرار بدون اهتمام أو ميل للموضوع أو للشيء الذي نكرره أو بدون رغبة في إتقانه وحفظه، أو بدون أن يكون هناك انتباه، أو بدون أن نربط بين أجزائه وجزئياته المختلفة، هذا التَّكرار عديم الفائدة، لا غناء فيه ولن يوصلنا إلى النتيجة التي نريدها أو الهدف الذي نبتغيه[2]. وأوضح صورة لدور التَّكرار في عمليّة التّعلم تتبدَّى في تعليم اللُّغات، فالعادة اللسانية أساساً قائمة على التّكرار، أي في « تَكرار التّلفظ بمتتالية صوتية معينة أو التّلفظ ببنية تركيبية محددة إلى غير ذلك من مكونات النظام اللساني لدى المتعلم»[3].

من كل ما سبق يلاحظ أن الاهتمام بالتَّكرار كان لدى كل من الإمام الزرنوجي وعلماء الدراسات الحديثة ينبع من طرف المتعلم، كما يتّفقان في أن التَّكرار حين يكون موزعاً على عدة أيام، فإنه يعين على ترسيخ المعلومة وتثبيتها واسترجاعها، إضافة إلى أنه أداة هامّة في عملية الفهم....الخ، إلا أن الدراسة الحديثة ترى أن التّكرار من أولى أولويات العملية التعليمية، وتعليم اللغات وبشكل خاص هو المجال الأنسب للتّكرار. لأن العادات اللسانية لا تكتسب إلاّ بالتَّكرار.

---

[1]- أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية ـ حقل تعليمية اللغات ـ، ص55.

[2]- حسين عبد الله بانبيله، ابن خلدون وتراثه التربوي، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، ط1، 1404 ـ 1984، ص120.

[3]- المرجع السابق، ص55.

ب.الفهم: ويقصد به: «عمليةُ إعطاءِ معنىً للأشياء»[1].

وقد عمل الزرنوجي على رسم توضيح كيفية الفهم في العملية التعليمية فقال: «ينبغي أن يجتهدَ المتعَلمُ في الفَهمِ عن الأستاذ بالتّأمُّل فيما قاله الأستاذُ والتفكير وكثرةُ التّكرار، فإنّه إذا قلَّ السَّبقُ وكَثُرَ التّكرارُ والتّأمُّلُ يُدركُ ويَفهم»[2].

وكما يؤكد في موضع آخر على فهم كل معلومة يتحصل عليها التعلم ويبين أخطار ذلك عند قوله: «ولا يكتب المتعلم شيئا لا يفهمه، فإنه يُورث كلالةً في الطّبع ويذهب الفطنة ويضيع الوقت... وإذا تهاون في الفهم فلم يجتهد في الفَهْمِ ولم يجتهد مرةً أو مرتين يعتادُ ذلك فلا يفهمُ الكلامَ اليسير، فينبغي أن لا يَتَهاوَنَ في الفهم بل يجتهدَ ويدعُوا اللهَ ويتضرَّعَ إليه فإنه يجيبُ من دعاه، ولا يُخَيِّبُ من رجاه »[3].

ينصح الزرنوجي طالب العلم بالاجتهاد والعمل على فهم ما يلقنه له الأستاذ بالتأمل والتّدَبر فيه، وأن لا يعود نفسه على فهم كل كلمة يكتبها لأنه إذا كتب شيئاً لا يفهمه يُورث الملل ويذهب الفطنة ويضيع الوقت، كما أن عدم الفهم لما يكتب ويلقن يجعل الذّهن يعجز عن فهم الأمور البسيطة والسّهلة، ثم إنّ الزرنوجي رجّح الفهم على الحفظ ولو كان الحفظ أكثر كمًّا من الفهم، وقد قال في ذلك: «وَفَهمُ حَرفَينِ خَيرُ مِن حِفظِ سَطْرِين»[4]؛ ومنه يمكن القول أن التربية الاسلامية بقدر ما اهتم علماؤها بحفظ علوم الشريعة واللغة والأدب وغيرها من العلوم الأخرى بالنقل والرواية فإنها لم تهمل الفهم بل اعطته الأهمية البالغة.

---

[1]- كيف تتم عملية الفهم وما هي أهم عناصرها ومعيقاتها، أ.د ناصر عبد الحميد يونس www.new-educ.com

[2]- الزرنوجي، تعليم المتعلم طريق التعلم، ص50.

[3]- نفسه، ص50.

[4]- نفسه، ص50.

أمّا الدراسة الحديثة فإنها تعدّ الفهم وبخاصة علماء النفس عاملاً أساسياً في عملية التعلم من حيث التجانس الذي يضفيه على النظام التّواصلي[1]. وترى أيضاً بأنّ الفهم في العملية التعليمية لابد أن يكون في لغة التخاطب القائمة بين المعلم والمتعلم حتى تكون عملية التعلم ناجحة فيكسب بذلك المتعلم خبرة جديدة تضاف إلى رصيده المعرفي. وقد تتعثر عملية التّعلم إذا كانت متباعدة بين المعلم والمتعلم إذ لابد من توحد ميادين الخبرة السابقة حتى يحدث التفاهم والإدراك الجيد للخبرة الجديدة[2]. فالإتصال الذي يحدث بين المعلم والمتعلم حسب علماء الدراسة الحديثة ليس مجرد حوار يحدث بينهما وإنما اكتساب ملكة التواصل.

ومما سبق يمكن القول أن الفهم عند الزرنوجي قد شمل جميع أشكال التعلم سواء كان فيما يلقنه المعلم إلى المتعلم أو ما يكتبه المتعلم في دفتره، ويعقب كل من هذا وغيره بالفهم وإلا كان ذلك نقمة المتعلم، أما الدراسة الحديثة فإنها قد حصرت الفهم على التّواصل اللساني الذي يحدث بين المعلم والمتعلم والخبرة المكتسبة لدى المتعلم. ومنه يمكن القول له تأصيل من التربية الاسلامية مما جعل كتابه يزداد ويقترب إلى درجة أكثر دقة علمية مطلوبة، غير أن الدراسة الحديثة كانت أفكارا عبارة عن وجهات نظر لا يمكن الجزم بأنها صحيحة جميعها لعدم تأصيلها .

.

[1]- أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية، ص04.

[2]-نفسه، ص54.

خاتمـــــــة

وحوصلة لأهم النتائج التي توصلت إليها من خلال موضوعي نذكر منها ما يلي:

01- أن برهان الدين الزّرنوجي عاش في القرن السادس الهجري والذي شهد أحداثاً وتحدياتٍ كثيرة وغريبة (فتن وحروب ومذاهب)، مما انطبع على شخصيته في كتابه تعليم المتعلم.

02- رغم أن ترجمة الزرنوجي كانت غامضة لم يعرف عليها إلاّ الشيء القليل، لكن من خلال كتابه يتبين لنا أنه عالم فقيه حنفي وموجِّه تربوي.

03- موضوع التعليم جليل الشأن عظيم القدر لذا فإن القرآن الكريم والسنة النّبوية باعتبارهما مصدران مقدّسان قد حثَّا المسلمين على التعليم والتعلم في مواضع شتّى، وأعْلا من مكانة العلماء على سائر الناس.

04- يعد القرآن الكريم والسنة المطهّرة أحسن الكتب التي رسمت للتعليمية أسسها الصّحيحة وتجسدت فيهما أهم المعالم التعليمية وأسبقيتهما لذلك قبل ميلاد الدراسات الحديثة أَصْلاً.

05- اتَّضح لنا من خلال دراسة مناهج التعليم أن المسلمين قد اختاروا منهجاً واضحاً متكاملاً بجميع أساليبه وطرقه فاهتموا به اهتماماً كبيراً لأنه الأصل، إضافة إلى أن تنوع أمكنة التعليم وتعددها توحي بِرِيادَة الحضارة الاسلامية في العلوم فبلغت بذلك أعلى مراتب الانتاج والعطاء.

06- كتاب تعليم المتعلم كتاب نفيس وفريد، فهو من بين أجود الكتب التي اهتمت بمعالجة القضايا التّربوية التعليمية بجميع أساسيتها ومبادئها، وشهرته في أوربا وترجمته إلى عدة لغات أجنبية دليل بيِّن على قيميته العلمية.

07- ذكر الزرنوجي في كتابه أهم الملامح التعليميَّة التي يجب أن يتحلى بها المتعلم اثناء التعلم منها ما يختص بأخلاقيات العلم، ومنها ما يتصل بالسلوك العلمي والروحي والصِّحي، وكذلك الحالات النفسية وأثرها.

08 – إن الأراء التعليمية التي أتى بها برهان الدين الزرنوجي أرآءً ثابتةً وشاملة لأنها مستقاة من التربية الاسلامية، بينما الدراسة الحديثة التي كانت عبارة عن بحوث مبنية على اجتهادات فإنها حصرتها في تعليم اللغات .

مُلحـــقات

تعليم المتعلم طريق التعلم

تأليف
برهان الإسلام الزرنوجي
تلميذ صاحب الهداية

الدار السودانية للكتب

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
فاتحة الكتاب وغايته	٥
الفصل الأول: في ماهية العلم والفقه وفضله	٨
الفصل الثاني: في النية في حال التعلم	١٤
الفصل الثالث: في اختيار العلم والأستاذ والشريك والثبات	١٩
الفصل الرابع: في تعظيم العلم وأهله	٢٥
الفصل الخامس: في الجدّ والمواظبة والهمة	٣٤
الفصل السادس: في بداية السبق وقدره وترتيبه	٤٨
الفصل السابع: في التوكل	٦٢
الفصل الثامن: في وقت التحصيل	٦٦
الفصل التاسع: في الشفقة والنصيحة	٦٨
الفصل العاشر: في الاستفادة واقتباس الأدب	٧٣

الموضوع الصفحة

الفصل الحادي عشر: في الورع حال التعلم ـــــ ٧٦
الفصل الثاني عشر: فيما يورث الحفظ وفيما
يورث النسيان ـــــــــــ ٨١
الفصل الثالث عشر: فيما يجب الرزق وما يمنعه
وما يزيد في العمر وما ينقص ٨٥
فهرس الموضوعات ـــــــــــــــــــ ٩٣

الفهـــــارس

فهرس الآيات القـرآنية

فهرس الأحــاديث

فهرس الأشــعار

قائمة المصـادر والمراجع

فهرس المحــتويات

فهرس الآيـــات

الآيات	رقمها	السور	رقمها	الصفحات
﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ الَاسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَة﴾	31	البقرة	02	31
﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ ﴾.	282	البقرة	02	63
﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً اِلَّا وُسْعَهَا﴾.	159	البقرة	02	31
﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُولُواْ الْعِلْمِ﴾.	18	آل عمران	03	27
﴿فَبِمَا رَحْمَة مِّنَ اَللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾.	159	أل عمران	03	29
﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾	55	يوسف	13	19
﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَة طَيِّبَة﴾.	24	ابراهيم	14	35
﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوَ اَمْضِيَ حُقُباً ﴾.	60	الكهف	18	30
﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾.	114	طه	20	28
﴿وَقَالُوا الذين كفروا لَوْلَا أُنزِلَ هَذَا اَلْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾.	32	الفرقان	35	29
﴿قُلْ سِيرُواْ فِي الَارْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾.	20	العنكبوت	29	30
. ﴿وَمِنَ ـ ايَتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالَارْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾.	22	الروم	30	28
﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي اِلذِينَ يَعْلَمُونَ وَالذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾	09	الزمر	39	27
﴿مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ﴾.	14	الدخان	44	22
﴿وَلَهُ الجَوَارِي الـمُـنشَآتُ فِي البَحْرِ كَالاَعْلاَمِ﴾.	24	الرحمن	55	21
﴿ يَرْفَعِ اِللهُ الذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ دَرَجَات﴾.	11	المجادلة	58	28
﴿ اَقرأ بِاسْمِ رِبِّكَ اَلذِي خَلَقَ خَلَقَ الاِنسَانَ مِنْ عَلَقَ ﴾	05	العلق	56	27
﴿وَمَآ أُمِرُواْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾.	05	البينة	98	28
﴿وَمَا أُمِرُواْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينِ﴾.	05	البينة	98	51

فهرس الأحـاديث

الحديث	الصفحة
«ان رسول الله عليه الصلاة والسلام بينما هو جالس في المسجد».	32
«إنَّما الأعمالُ النِّيَاتِ وإنَّما لِكُلِّ امرئٍ مَا نَوَى».	51
« إن من الشّجَر شَجَرةٌ لا يسقط ورقها».	35
« ان مكّة حرمها الله ولم يحرمها الناس».	33
«طلب العلم فريضة على كل مسلم».	31
«ما من قوم يجتمعون في بيت من بيوت الله».	32
« من سَلكَ طَريقاً يلتمسُ فيه علماً سهَّل الله به طريقاً الى الجنّة».	32
«لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض».	33
"ويلٌ للأعقاب من النَّار" مرَّتين أو ثلاثا».	34

فهرس الأشعـــار

أول البيت	آخر البيت	الشاعر	الصفحة
– قافية الباء–			
ثُمَّ على قَاصِد	قَبل الطَّلَب	حسن أفندي	51
بَصُرتَ بِالرّاحَة	من التَّعَب	أبو تمام	56
– قافية الدال–			
بجدٍّ لا بجِدٍّ	جد بِمُجْد	–	54
– قافية الراء–			
أرَانِي أنسَى	في الصِّغر	أبا عبيد الله نفطويه	60
أطلُبِ العِلْم	أن يَضْجرَا	الامام القفَّال	55
– قافية الصاد–			
شكَوتُ إلى	تَركِ المَعاصِي	الشَّافعي	65
– قافية العين–			
يا طالب العلم	الشبعا	ابن المبارك	64
ونجْلُ خطَّاب	اسلاَم مَعَا	–	56
– قافية القاف–			
سَهَري لتَنقِيح	عِنَاق	الشَّافعي	61
– قافية اللام–			
فقُل لمُرجِّي	رجَوتَ المُحَــالا	الخبزارزي	56
يُريدُون إدْرَاك	إبَار النَّحل	–	59
علِمت ما	لِلعمَل	–	52
ومُستَرق القَصائِد	الرجَال	يزيد بن الحكم	22

– قافية الهاء–

تولى خصالا	تديمها	علي الدين السَّخاوي	66
أعْكُف على	النُّبـــــوَّة	–	54

– قافية الميم–

–	كشِدق الأعْلَم	عنترة	21

– قافية الياء–

فكُن رجلاً	الثُّـــريَّا	محمد بن ابراهيم الوزير	57

قائمة المصادر والمراجع

* القرآن الكريم برواية ورش.

01-ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407-1987.

02- ابن الأثير ضياء الدين نصر الله بن أبي الكرم، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تع: د: أحمد الحوفي وبدوى طبانه، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة -مصر، ط2.

03- ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، شرح صحيح البخاري، ضبط نصه وعلق عليه أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض.

04-ابن جماعة بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله الكناني الشَّافعي، تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، اعتنى به محمد بن مهدي العجمي، دار البشائر الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط3، 1433-2012.

05-ابن الجوزي ابو الفرج عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، دار المعارف العثمانية، حيدر اباد الدكن، 1940.

06-ابن ماجه الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه[باب فضل العلماء والحث على طلب العلم]، علق عليه فؤاد، المكتبة الاسلامية، تركيا ـ اسطنبول.

07-ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1.

08-ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، اعتنى به د. خالد رشيد القاضي، دار الابحاث، الجزائر ط1، 2008.

09-ابن القيم الجوزية ابي عبد الله بن أبي بكر بن أيوب، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والارادة، تح: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.

10-أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، الجامع الصحيح البخاري المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وايامه، تصحيح وتحقيق محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية- ومكتبتها، القاهرة، ط1، 1400.

11-أبو عبد الله محمد بن سعيد رسلان، مراتب طلب العلم وطرق تحصيله، دار أضواء السّلف المصرية للنشر والتوزيع.

12-أبو عمر يوسف بن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، تح: أبي الاشبال الزهيري، دار ابن الجوزي.

13-أبو هلال العسكري وآخرون، الجامع في الحث على الحفظ، تح: أبو عبد الله محمود بن محمد الحداد، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط1، 1412.

14-حسن بن علي بن حسن الحجاجي، سلسلة التربية الاسلامية6 ـ الفكر التربوي عند ابن رجب الحنبلي ـ، دار الاندلس الخضراء للنشر والتوزيع، جدة – المملكة العربية السعودية، ط1، 1417-1996.

15-أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة ، عالم الكتب نشر وتوزيع وطباعة، القاهرة، ط1، 1429-2008.

16-أحمد ياسين أحمد الخياري، محاضرات في علوم القرآن، مؤسسة المدينة للصحافة (دار العلم)، جدة، ط1، 1414-1993.

17- أحمد أمين، ضحى الاسلام، مكتبة النهضة المصرية، ط17.

18- أحمد أمين، ضحى الاسلام، مؤسسة هندواي للتعليم والثقافة، جمهورية مصر العربية، القاهرة.

19-أحمد اسماعيل حجي، إدارة بيئة التعليم والتعلم، النظرية والممارسة في الفصل والمدرسة، دار الفكر العربي، ط1، 2000.

20-أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية – حقل تعليميات اللغات-، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2،2010 .

21 -أحمد جهان الفورتيه، القرآن أصل التربية وعلم النفس، دار الملتقى للطباعة للنشر والتوزيع، ليماسول- قبرص،ط1، 1494.

22-أصول في التربية، مركز نبراس،المملكة العربية السعودية، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، عمادة التعليم عن بعد، المستوى الخامس، نظام الاتتساب المطور،1431-1432.

23-الأهواني أحمد فؤاد، دراسات في التربية التربية في الاسلام، دار المعارف بمصر.

24- أيوب دخل الله، التربية الاسلامية عند الامام الغزالي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا – بيروت، ط1417،1-1996.

25- برهان الاسلام الزرنوجي، تعليم المتعلم طريق التعلم، الدار السودانية للكتب للطباعة والنشر والتوزيع، السودان- الخرطوم، ط1، 1425-2004.

26- برهان الدين الزرنوجي، تعليم المتعلم طريق التعلم، تحقيق: مروان قباني، المكتبة الاسلامية، بيروت، ط1401،1-1971.

27-البغدادي اسماعيل باشا، هداية العارفين في اسماء العارفين وآثار المصنفين، ، دار احياء التراث العربي، بيروت-لبنان.

28- البيضاوي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي أنوار التنزيل واسرار التأويل، مكتبة الجمهورية المصرية، القاهرة.

29-الترمذي محمد بن عيسى، صحيح الترمذي[باب فضل العلم]، تح: حافظ بن العربي، مكتبة المعارف، بيروت ـ لبنان.

30- جمال الدين القرش، مهارات التدريس الفعال، دار النجاح، ط1، 2012.

31-حامد عبده الهوال، التعليم والتعلم في القرآن الكريم، مكتبة الفلاح، الكويت، ط1، 1981- 1401.

32- حسين عبد الله بانبيله، ابن خلدون وتراثه التربوي، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، ط1، 1404 ـ 1984.

33-حمد بن ابراهيم العثمان، الـنُّبَذ في آداب طلب العلم، مكتبة بن القيم، الكويت، ط4، 2002.

34-خالد الزواوي،التعليم قضاياه التربوية والفنية، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006 .

35- خدير المغيلي، محاضرات في نظريات التعلم في ضوء الدلالات التعليمية للخطاب القرآني، قسم اللغة والادب العربي، جامعة ادرار، السنة الجامعية: 2016-2017.

36-الخوارزمي محمد بن أحمد بن يوسف، مفاتيح العلوم، تح إبراهيم الابياري، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ط2، 1409-1989.

37-الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، طلب العلم نصائح وفوائد وحكم، رتبه وعلق عليه خليل بن محمد العربي، دار الامام البخاري، الدوحة ــ قطر، ط1، 1431-2010.

38- الرازي الامام محمد بن أبي اسحاق، مختار الصحاح، ضبط وتحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة الجزائر،ط4.

39-سامي محمد ملحم، سيكولوجية التعلم والتعليم الاسس النظرية والتطبيقية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1، -1422- 2001.

40 -سالك أحمد معلوم، الفكر التربوي عند الخطيب البغدادي، مكتبة لينة للنشر والتوزيع، ط2، 1413-1993.

41- الشّافعي، محمد بن ادريس، ديوان الشافعي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، اعتنى به عبد الرجمن المصطاوي، بيروت-لبنان، ط3، 1426-2005.

42- شوقي ضيف، تاريخ الادب العربي ـ عصر الدول والامارات ـ، الشام، دار المعارف، القاهرة، ط2.

43- شوقي ضيف، تاريخ الادب العربي – العصر العباسي الاول -، دار المعارف، ط 16، 2004.

44شوقي ضيف، تاريخ الادب العربي، -العصر العباسي الثاني-، دار المعارف، ط12، 2001.

45- صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، دار هومة، الجزائر، ط3، 2000.

46- الطاهر بن عاشور ، أليس الصبح بقريب، دار سحنون للطباعة والنشر والتوزيع مصر والترجمة ودار السلام للنشر والتوزيع تونس، ط1، 4271- 2006 .

47- عبد النعيم حسنين، سلاجقة ايران والعراق، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط2، 1380-1970.

48- عبد الله عبد الدائم، التربية من العصور القديمة حتى اوئل القرن العشرين، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط1، 1973.

49- عبد القادر بن سيدي عبد العزيز بن عمر، الفوائد الغريبة المدهشة النادرة الف وجبة روحية بألف فائدة متنوعة، دار البلبالين للنشر والتوزيع، ادرار-الجزائر، ط 2، 1436-2015.

50- عائض بن عبد الله القرني، اقرأ باسم ربك، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط1، 1421- 2000،

51- عبد المجيد عيساني، اللغة بين المجتمع والمؤسسات التعليمية، مطبعة مزوار، ط1، 2010.

52-عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط1، 1414-1993 .

53- الفراهدي الخليل بن أحمد، كتاب العين، تح، عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية،بيروت – لبنان، ط1، 2003-1424.

54-القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لاحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن، تح: عبد الله بن المحسن التّركي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط1، 1427-2006.

55- ماجد عرسان الكيلاني، الفكر التربوي عند ابن تيمية، مكتبة دار التراث، ط2، 1407-1986.

56- محمد أحمد اسماعيل المقدم، علو الهمة، دار الايمان للطباعة والنشر والتوزيع، اسكندرية.

57-محمد مصابيح، تعليمية اللغة العربية وفق المقاربات النشطة من الاهداف الى الكفاءات، تاكسيج للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر.

58- محمد اسعد طلس، التربية والتعليم في الاسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، جمهورية مصر العربية.

59-محمد بن عبد العزيز المانع، ثلاث رسائل إرشاد الطلاب . اقامة الدليل والبرهان . الاجوبة الحميدة، منشورات المكتب الاسلامي بدمشق، ط2، 1383.

60-محمد حسين يعقوب، منطلقات طالب العلم، المكتبة الاسلامية، القاهرة، ط2، 1422-2002.

61 -محمد الدريج، مدخل الى علم التدريس تحليل العملية التعليمية، قصر الكتاب، البليدة.

62-محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، دار الشروق، القاهرة، ط7، 2001.

63-محمد شلبي، التربية الاسلامية نظمها فلسفتها تاريخها، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط6،1978.

64- محي الدين القرشي، الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، ط1.

65-النووي، اداب العالم والمتعلم والمفتي والمستفتي وطالب العلم، مكتبة الصحابة للطباعة والنشر والتوزيع، طنطنا، ط1، 1408-1987.

.الرسائل الجامعية:

01-خيرة شاوش، الوحدات القرآنية المقررة في مرحلة الابتدائية وعلاقتها بالتحصيل اللغوي لدى السنة الثالثة انموذجا، مذكرة تخرج لنيل شهادة الليسانس في الادب العربي، تحت اشراف الاستاذ د.هشام خالدي، جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية، معهد الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، السنة الجامعية:2008-2009

02-نهى عارف الحسن، التربية عند ابن خلدون، رسالة رفعت الى دار التربية في الجامعة الامريكية في بيروت، لاستكمال المتطلبات لنيل درجة استاذ علوم، الجامعة الامريكية في بيروت، حزيران 1959.

المجلات والمواقع:

01- محمد الدريج، التدريس، كلية التربية بجامعة محمد الخامس بالرباط، العدد السابع، 1984.

02- نور الدين احمد قايد وحكيمة سبيعي، التعليمية وعلاقتها بالأداء البيداغوجي والتربية، مجلة الواحات للبحوثات والدراسات العدد08 2010.

03- كيف تتم عملية الفهم وما هي أهم عناصرها ومعيقاتها، أ.د ناصر عبد الحميد يونس
www.new-educ.com

فهـــرس المحتويات

الموضوع **الصفحة**

مقدمة.....**أ– ت**

المدخل:السيرة الذاتيّة لبرهان الدين الزرنوجي..... **01–15**

المبحث الأول: عصر برهان الدين الزرنوجي.....**02–12**

1–الحركة السياسية.....02–05

2– الحركة الاجتماعية 05–07

3– الحركة الثقافية.....07–09

4– الحركة الدينية والفكرية.....09–12

المبحث الثاني: ترجمة لحياة برهان الدين الزرنوجي..... **12–15**

1–مولده ونسبه.....12–13

2– وفاته.....13

3–شخصيته.....13–14

4–شيوخه.....14

5–مؤلفاته.....14–15

الفصل الثاني: مظاهر التعليمية عند علماء المسلمين القدامى.....**16–43**

المبحث الاول: تحديد مصطلحات ومفاهيم..... **17–24**

1–مفهوم التربية لغة واصطلاحا.....17–18

2–مفهوم التعلم لغة واصطلاحا..... 19–21

3-مفهوم التعليم 21-22

4-مفهوم التعليمية (الديداكتيك) لغة واصطلاحا.....22-24

المبحث الاول: مكانة التعليم في الاسلام.....24-33

01-العلم في القرآن الكريم.....24-29

1-فضل التعليم في القرآن الكريم..... 24-26

2- أساسيات التعليمية في القرآن الكريم.....26-29

02- العلم في السنة النبوية..... 29-33

1-فضل العلم في السنة النبوية.....29-30

2-طرائق التعليمية في الاحاديث النبوية.....31-33

المبحث الثالث: التعليم في المسلمين (مناهجه وأمكنته).....34-43

1-مناهج التعليم.....34-37

2-أمكنة التعليم.....38-43

الفصل الأخير: ملامح التعليمية في كتاب تعليم المتعلم طريق التعلم للزرنوجي.....45-67

المبحث الاول: لمحة عن كتاب تعليم المتعلم طريق التعلم.....44-48

1-تسمية الكتاب.....45

2-نسبة الكتاب.....45

3-موضوع الكتاب.....45-46

4-أهمية الكتاب.....46

5-وصف الكتاب.....46-47

6–دواعي الدراسة..... 47-48

المبحث الثاني : الملامح التعليمية عند برهان الدين الزرنوجي..... 48–64

1-في حسن النية في طلب العلم..... 48-50

2– في الجد والمواظبة وعلو الهمة.....50-56

3–في وقت التحصيل والاستفادة 57-59

4–في الورع والحفظ حال التعلم..... 59-63

المبحث الثالث:موازنة بين الزرنوجي والدراسات الحديثة في مجال التعليمية.....63–69

1-التَّكرار..... 63-65

2-الفهم.....66-67

خاتمة.....68–69

ملحقات.....70–73

الفهارس.....74–82

فهرس الآيات..... 76-77

فهرس الأحاديث..... 78-79

فهرس الأشعار.....80-82

قائمة المصادر والمراجع.....83–89

فهرس المحتويات.....91 – 93